مناهج البحث العلمي في مقام الدعوة

في

ضوء الكتاب والسنة

دكتور

عبدالمنعم صبحي أبوشعيشع أبودنيا

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا

١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م



المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلـــى آله وصحابتهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين بلغوا الرســـالة، وأدوا الأمانة، وأقاموا الحجة ، وتركوا الناس على المحجة، وكانوا خير قدوة لمن يحمل من بعدهم شرف الدعوة إلى الله ، من هذه الأمة الإسلامية، التى بعث الله تعـــالى فيها خاتم أنبيائه ، محمداً صلى الله عليه وسلم، فكانت ببعثته خير أمة أخرجـــت للناس، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر.

وبعـــــد

فالقرآن الكريم هدى ونور ، وصلاح وإصلاح ، وهو مصدر الدعـــوة، ولسان الإسلام ، وهو خير وسيلة ، وأعظم أسلوب للدعوة إلى الإيمان.

والتأمل فى القرآن الكريم يجد أنه قد استخدم فى الدعوة إلـــى الإيمـــان مناهج متعددة ، منها ما هو استنباطى يقوم على العقل ، ويستند إلـــى المنطـــق ، ومنها ما هو استقرائى يقوم على الملاحظة والمشاهدة والتجربة ، وبهذه المنـــاهج العلمية الدعوية أقنع القرآن الكريم كل مدعو ، وأفحم كل معـــاند ، وألـــزم كـــل مجادل ومكابر.

والقرآن الكريم إقناع للعقل ، وإمتاع للوجدان ، وليس شئ أنفع للدعـــاة فى دعوتهم من تدبر القرآن الكريم ، وإطالة التأمل فيه، والتزام منهجه.

مهمة الدعاة إلى الله تعالى أن يعرضوا رســـالة القـــرآن الكريـــم كمـــا عرضها القرآن الكريم نفسه.

وإذا استمد الدعاة من نور القرآن المبين ، كانوا فى هديهم راشدين، يحملون الضوء اللامع ، والبرهان الساطع الذى ينير أمام الناس طريق الخير. وسيجد الدعاة إلى الله تعالى فى القرآن الكريم: واقع الدعوة وظروفها وملابساتها ، ودوافعها ، وأهدافها ، وأساليبها ، ووسائلها ، ومناهجها.

ولابد من معرفة الدعوة ومناهجها التى سلكها الدعاة إلى الله تعالى من الأنبياء عليهم السلام فى القرآن الكريم ، لإعادة الكرة ، وتجديد التجربة ، المرة بعد المرة ، حتى يتحقق الأمل المنشود، والهدف الذى تنعقد عليه عزائم الدعاة إلى الله تعالى.

وأبرز عوامل نجاح الدعوة شخصية الداعية، ومنهاج دعوته، ولابد أن يكون المنهج من القوة ليملأ النفس ، ويبهر الروح ، ويضمن الخير.

والبحث الذى بين أيدينا والذى بعنوان:

" **مناهج البحث العلمى فى مقام الدعوة فى ضوء الكتاب والسنة** " يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

ففى المقدمة: ذكرت خطة البحث.

وفى الفصل الأول : يقف القارئ مع مباحث عدة.

ففى المبحث الأول: قمت بتحرير مفردات البحث ، وذلك بتعريف المنهج ، والبحث ، والعلم ، والفرق بين العلم والمعرفة ، ثم ذكرت تعريف " منهج البحث العلمى " .

وفى المبحث الثانى: ذكرت مصادر البحث العلمى، وأهمية مناهج البحث العلمى، والحاجة إليها فى الدعوة إلى الله تعالى ، مع التأكيد على أن مناهج البحث العلمى ابتكار إسلامى.

وفى المبحث الثالث: ذكرت ضوابط البحث العلمى ، وأهم هذه الضوابط : صحة المنهج ، وفقه المنهج ، ومناسبة المنهج لموضوع البحث العلمى ، والتسليم بالغيبيات والتجريب فى المحسوسات، ورد النزاع إلى الكتاب والسنة ...... إلخ.

وفى الفصل الثانى: تحدثت عن المنهج الإستنباطى ، وذلك بذكر تعريفه ، وضرورته ، والدعوة والمنهج الاستنباطى ، ثم ذكرت خطواته وشروطه ، ثم ذكرت دعوة القرآن الكريم إلى الاستنباط ، وأن المنهج الاستنباطى من المناهج التى استخدامها القرآن الكريم فى الدعوة إلى الإيمان ، وكذلك السنة النبوية ، ثم ذكرت استخدام الأنبياء عليهم السلام للمنهج الاستنباطى فى الدعوة إلى الله.

وفى الفصل الثالث: تحدثت عن المنهج الاستقرائى ، وذلك بذكر تعريفه ، وضرورته ، والدعوة والمنهج الاستقرائى ، ومراحله . وأنواعه ، ووظيفته، ثم بينت أن المنهج الاستقرائى من المناهج التى استخدامها القرآن الكريم فى الدعوة إلى الإيمان ، وكذلك السنة النبوية ، ثم ذكرت استعمال الأنبياء عليهم السلام للمنهج الاستقرائى فى الدعوة إلى الله تعالى.

والله أسأل لبحثي المتواضع هذا القبول فى السماء وفى الأرض، وفى الدنيا وفى الآخرة، وأن يكون سبيلا إلى إيقاظ الأمة، وعلو الهمة، ونصر الدعوة.

وصلى الله وسلم على خير العباد ، وسيد الدعاة، وأشرف المرسلين

سيدنا محمد بن عبدالله

عبدالمنعم أبودنيا

١

الفصـــــل الأول

مناهج البحث العلمى مفهومها وضوابطها

المبحث الأول

تحـــرير مفـــردات البحـــث

أولا: تعريف المناهج:-

فى اللغة:-

المناهج جمع منهج أو منهاج، ويعد المنهج على جانب كبير من الأهمية للباحث فى بحثه، لأنه يكون بمثابة طريق واضح يقود خطاه، ويسدد فكره فى سيره نحو هدفه، وهذا المعنى يتضح من الاستعمال اللغوى لهذه الكلمة.

جاء فى مختار الصحاح (المِنْهَاج: الطريق الواضح ، ونَهَجَ الطريق: أبانه وأوضحه، ونهجه: سلكه) [١]

وجاء فى المعجم الوجيز (نَهَجَ الطريق نَهْجاً: وضح واستبان ، ويقال: نَهَجَ الطريق. بَيّنَهُ ، والمِنْهَاج: الطريق الواضح. و-: الخطة المرسومة. ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ونحوهما، (ج) مناهج) [٢]

من خلال ذلك يتضح أن المعنى اللغوى للكلمة يتضمن ثلاثة عناصر:

الأول: أن المنهج هو الطريق ، ومن شأن الطريق – مادياً كان أو معنوياً – أنه يتوصل منه إلى غيره.

الثانى: وضوح الطريق.

الثالث: استقامته.

وعلى هذا فإن المنهج هو الطريق الواضح المستقيم الذى يوصل إلى الغاية.

والمنهاج: الطريق الواضح البين ، وهو صيغة مبالغة أو اسم آلة ، به ينهج الأمر ويضح ، والمنهاج فى الدين: الطريق البين الذى لا لبس فيه ولا إبهام ، ويستمر عليه الناس ويسيرون.

---

(١) مختار الصحاح . الرازى ص ٦٨١ .
(٢) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية ص ٦٣٦ .

فى الاصطلاح:-

عرفة عبدالرحمن بدوى بقوله: الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة. (١)

وعرفه محمد الغريب بقوله: إنه الطريقة التى يتبعها الباحث فى دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة. (٢)

وعرفه بعضهم بقوله: المنهج طائفة من القواعد والأصول التى تهدف تعبيد طريق الباحث عن الحقيقة. (٣)

وعرفة بعضهم بقوله: فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين. (٤)

وعرفه بعضهم بقوله: هو الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل. وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معينة. (٥)

وقال د/ عبداللطيف محمد العبد: وليس المنهج سوى خطوات منظمه يتبعها الباحث فى معالجة الموضوعات التى يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة ، وبهذا يكون فى مأمن من أن يحسب صوابا ما هو خطأ أو العكس. (٦)

ومن خلال هذه التعاريف نلاحظ أن هناك اتجاهين للمناهج من حيث الهدف.

---

(١) مناهج البحث العلمى. د/ عبدالرحمن بدوى ص٥ .
(٢) البحث العلمى: التصميم والمناهج والإجراءات. محمد الغريب عبدالكريم ص٧٧.
(٣) المنطق الإسلامى أصوله ومناهجه. محمد تقى المدرسى ص٣١.
(٤) عبدالرحمن بدوى ص٤.
(٥) أسس الفلسفة. د/ توفيق الطويل ص١٤٠ .
(٦) دراسات فى الفلسفة الإسلامية. د/ عبداللطيف محمد العبد ص١٩٠ .

أحدهما: يكشف عن الحقيقة ويسمى منهج الاختراع.

والثاني: يبرهن أو يعدل عن مفاهيم سائدة ويسمى منهج التصنيف. (١)

والمنهج يعنى: أسلوباً فى التفكير ، وخطوات عملية منظمة تهدف إلى حل مشكلة أو معالجة أمر من الأمور ... وهو برنامج عمل فى البحث العلمى، وفــى نقــل النظرى إلى التطبيق ، وفى التخطيط للمستقبل وفق نظرة بصيرة.

وإذا بحثنا عن أقدم استعمال مدوّن لهذه الكلمة فى تاريخ الفكر الإنسانى وجدناه لدى أفلاطون الذى استعملها بمعنى البحث، أو النظر، أو المعرفة ، وكذلك استعملها من بعده أرسطو فى أحيان كثيرة بمعنى البحث. (٢)

ولفظ المنهج ليس غريباً على الحضارة الإسلامية ، فقد ورد فى القرآن الكريم

قــال تعالى:

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

سورة المائدة

وظهر فى بعض الكتب: منها كتاب الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ، وكتاب نهج البلاغة المنسوب إلى على بن أبى طالب كـــرم الله

---

(١) البحث العلمى مناهجه وتقنياته. د/ محمد زيان عمر ص٤٨ .

(٢) مناهج البحث. د/ عبدالرحمن بدوى ص٣ .

تعالى وجهه ، وظهر المنهج عند المتكلمين والصوفيين والأصوليين والمحدثين والمفسرين.

المناهج والمنطق:-

المناهج قسم من أقسام المنطق ، وجزء من أجزاءه ، وميدان من ميادينه.

قال صاحب كتاب " تاريخ المنطق عند العرب "

(وتوجد قسمة ثنائية للمنطق ، منطق شكلى ، وعلم مناهج ، فالأول يبحث فى المبادئ العامة للتفكير المجرد وفى القواعد الضرورية التى يسير عليها الفكر ، أى يصور الأحكام والاستدلالات وذلك للوصول إلى اتفاق الفكر مع نفسه، بينما يبحث علم المناهج فى طرائق البحث الخاصة للعلوم المختلفة، ويضع القواعد وفقاً للعلوم الخاصة)[1]

وعليه فإن المناهج هى مجال تطبيق نظرية البحث فى المنطق، وكل فرضية أو نظرية فى المنطق توصى بمناهج تكون منسجمة معها، ولذلك كان هناك مناهج للاستدلال يوصى بها صاحب المنطق الصورى، وأخرى يوصى بها صاحب المنطق العملى، والمنطق علم تجنب الأخطاء ، والمناهج وسيلة لتجنب الخطأ.

تعدد المناهج:-

لقد أدى التطور العلمى فى العصور الحديثة إلى تعدد المناهج ، ومن هنا تختلف المناهج باختلاف المواضيع ، ولكل منهج وظيفته وخصائصه التى يستخدمها كل باحث فى ميدان اختصاصه.

---

[1] تاريخ المنطق عند العرب. د/ محمد نظمى سالم ص٩٣

والعلوم تختلف فى مادتها أو المادة التى تبحثها ... وبالتالى فإن طريقة بحثها فى المجالات تختلف أيضاً، لأن طريقة البحث تختلف باختلاف مادة البحث ، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من أن كل العلوم تلتقى فى أسس عامة ، هذه الأسس العامة المشتركة بين العلوم هى التى تجيز لنا أن نطلق على موضوع المنهج علماً.[1]

وما دام المنهج هو السبيل إلى معرفة الحقيقة ، وما دامت الحقائق مختلفة ، والذين يسعون لكشفها مختلفون ، فإن المناهج تختلف من باحث لآخر ... إذ أنها آتية من داخل البحث ، فكل بحث يوصى بمناهج تخصه بالرغم من أنه يشترك مع سائر البحوث فى المناهج العامة ، وهى التى تذكر فى علم المناهج.[2]

والمنهج أياً كان نوعه، هو الطريقة التى يسلكها الباحث للوصول إلى نتيجة معينة وإذا كان الباحثون يتجنبون المناهج الخاطئة لأنها لا تقودهم إلى الحلول الصحيحة ، فإنهم يحرصون على استخدام المناهج العلمية التى ثبت نجاحها ويسعون لإجادة فن استخدام الأسلوب الملائم فى كل قضية يدرسونها.

وقد فطن علماء الحضارة الإسلامية إلى تعددية مناهج البحث العلمى الفرعية تبعاً لموضوعاتها ، فلم يقتصروا فى عملية الاستدلال المنهجى على استخدام المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة ، ولكنهم استخدموا كذلك المنهج الاستنباطى الذى يسير التفكير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى التجربة ، واستخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين

---

(١) المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج. د/ محمد نظمى سالم ص١٤٣ .

(٢) المنطق الإسلامى أصوله ومناهجه. محمد تقى المدرسى ص٣٢ .

الظواهر المختلفة للكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، واستخدام المنهج الجدلى، والمنهج النقدى، والتاريخى ... إلخ.

المنهج هو المشكلة:-

المنهج حياة العلم، وروح البحث ، وتقدم العلوم دلالة على وجود المنهج الصحيح ، وتأخرها دلالة على افتقاده، ومن هنا كان شرط قيام العلم وجود المنهج. وأن مشكلة المنهج هى مشكلة العلم فى صميمه.

جاء فى كتاب " **دراسات فى الفلسفة الإسلامية** "

(وقد وقف مفكرو الإسلام على أهم مشكلة فى العلم تمس صميمه، وهى مشكلة المنهج ، ذلك أن تقدم البحث العلمى رهين بالمنهج ، بحيث يدور معه وجودا وعدما ، ومن شرط قيام العلم أن يكون طريقة جامعة لشتات الجزئيات المبعثرة ، لتفسير ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين) [١]

لا شك أن المنهج هو المشكلة المهمة فى شتى ضروب واقعنا المعاصر: فكريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعلميا ودعويا.

ثانيا: تعريف البحث:-

فى اللغة:-

جاء فى مختار الصحاح (وابتحث عنه: أى فتش) [٢]

---

[١] دراسات فى الفلسفة الإسلامية. د/ عبداللطيف العبد ص ١٩٨. نقلا من منهج البحث العلمى عند العرب د/ جلال موسى ص ٢٧١.
[٢] مختار الصحاح. الرازى ص ٤١ .

وجاء فى المعجم الوجيز (بحث عن الشئ: طلبه وفتش عنه أو سأل عنه واستقصى و- الأمر، وفيه: اجتهد فيه وتعرف حقيقته. فهو باحث وبحاث وبحاثة. والبحث: بذل المجهود فى موضوع ما. وجمع المسائل التى تتصل به)[1]

من خلال ذلك يتضح أن المعنى اللغوى للكلمة يدور حول التنقيب والتفتيش والاجتهاد وبذل الجهد فى موضوع ما وجمع المسائل التى تتصل به.

وفى الاصطلاح:-

عرفه د/ أحمد بدر بقوله: البحث استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلا. [2]

وقال صاحب الرسالة الشريفية: البحث: يطلق على حمل شئ على شئ. وعلى إثبات النسبة الخبرية بالدليل. وعلى المناظرة. [3]

وعرفه د/ سعد الدين صالح بقوله: البحث عبارة عن إضافة جديدة للعلم تقوم على الدليل والبرهان.[4]

وهذه التعريفات تدور معظمها حول كونه – أى البحث – وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الذى يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات جديدة، أو تطوير وتصحيح أو تحقيق معلومات موجودة بالفعل.وفى هذه الحالة

تعريف: مناهج البحث:-

وإذا أضفنا : المنهج " إلى " البحث " كان المعنى العام للكلمتين "مناهج البحث":

---

(1) المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية ص ٣٧ .
(2) أصول البحث العلمى. د/ أحمد بدر ص ١٩ .
(3) الرسالة الشريفية. الجرجانى ص ١٢ .
(4) البحث العلمى ومناهجه النظرية د/ سعد الدين صالح ص١١ .

وفى هذه الحالة يكون تعريف : مناهج البحث:

هو مجموعة منظمة من المبادئ العامة والطرق الفعلية التى يستعين بها الباحث فى حل مشكلات بحثه مستهدفا بذلك الكشف عن جوهر الحقيقة.

وبمفهوم آخر: هو القانون الذى يحكم أية محاولة للدراسة أو التقييم على أسس سليمة. (١)

أنواع البحوث:-

إن نشاطات البحث متعددة وكثيرة ، فهى تشمل التجريب وألوان المسح العلمى وتحاليل الوثائق والدراسات التاريخية وتفسير الأفكار والتحرير وغير ذلك ، ويمكن أن نجمل نشاطات البحوث فى الأنواع الثلاثة التالية:-

١-البحث بمعنى التنقيب عن الحقائق دون محاولة التعميم أو استخدام هذه الحقائق فى حل مشكلة معينة.

٢-البحث بمعنى التفسير النقدى، وهو الدراسات التى تعتمد على التدليل المنطقى وتحليل الأفكار، وهو الذى يجرى فى سائر البحوث النظرية.

٣-البحث الكامل، وهو الذى يهدف إلى حل المشاكل ، ووضع التعميمات بعد التنقيب الدقيق عن جمع الحقائق بالإضافة إلى تحليل الأدلة. (٢)

ومنهم من قسمها على أساس الظواهر التى تدرسها البحوث إلى طبيعية وبيولوجية واجتماعية.

ومنهم من قسمها على أساس المنهج إلى بحوث وصفية وتاريخية وتجريبية.(٢)

---

(١) البحث العلمى ومناهجه النظرية. د/ سعد الدين صالح ص١١ .

(٢) أصول البحث العلمى ومناهجه. د/ أحمد بدر ص ٢٠ ، والبحث العلمى ومناهجه النظرية د/ سعد الدين صالح ص ٣١ .

(٢) مناهج البحث فى التربية وعلم النفس. د/ جابر عبد الحميد ص ٢٠

ويرجع هذا إلى أن اختلاف مواضيع البحوث يتطلب أســاليب مختلفــة لمعالجتها ، لأن طرق التعرف على الحقيقة تختلف من موضوع إلى آخر، كما أن البحوث تختلف باختلاف الأهداف المتوخاة من كل موضـــوع، وتختلــف أيضــا باختلاف حجم الأبحاث وطولها أو قصرها.

ثالثا: تعريف العلم:-

العلمى نسبة إلى العلم ، وهو المعرفة المنظمة التى تتصــف بالصحــة والصدق والثبات والدراية وإدراك الحقائق وكل ما يتصل بها.

تعريف العلم فى اللغة:

جاء فى مختار لصحاح (وعلم الشئ بالكسر يعلمه " علما " عرفه)[1]

وجاء فى المعجم الوجيز (علم فلان الشئ – علما: عرفه. وفى القرآن الكريم " لا تعلمونهم الله يعلمهم " العلم: إدراك الشئ بحقيقته. و-: المعرفــة. و-: مجموع مسائل وأصول كلية تدور حول موضوع واحد. وتعالج بمنـــهج معيــن. وتنتهى إلى بعض النظريات والقوانين)[2]

اصطلاحا:-

العلـــــــم : هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقال الحكماء: هو حصول صورة الشئ فى العقل ، والأول أخص من الثانى.

وقيل العلـــم: هو إدراك الشئ على ما هو به ، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم.[3]

---

(1) مختار الصحاح. الرازى ص ٤٥٢

(2) المعجم الوجيز. مجمع اللغة العربية ص ٤٣٢

(3) التعريفات. الجرجانى ص ١٥٥ .

وجاء فى قاموس اكسفورد المختصر:

العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذى يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة ، والتى تحكمها قوانين عامة وتحتوى على طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة فى نطاق هذه الدراسة. (١)

وقد أيد كثير من العلماء هذا التعريف ،ورجحوه واختاروه نظرا لتأكيده على " الحقائق الثابتة المصنفة " وعلى اتباع " الطرق والمناهج الموثوق بها لاكتشاف الحقيقة " ، ونظرا أيضا لعمومه وشموله وإمكانية تطبيقه على سائر العلوم نظرية كانت أو علمية ، وعلى اختلاف مناهجها المناسبة لدراستها.

والعلم معنى مطلق غير مقيد بتخصيص بعينه، والإطلاق يفيد الشمول والتعميم، أما تصنيف العلوم إلى دينية ودنيوية، أو نقلية وعقلية، أو شرعية وطبيعية، أو نظرية وتجريبية، أو إنسانية واجتماعية وكونية، أو غير ذلك، فهو تصنيف يعتمد على الصفات المعبرة عن موضوعات العلم، أو مصادرة، أو الطرق التى يتم تحصيله بها بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض.

الفرق بين العلم والمعرفة:-

قال ابن قيم الجوزية فى " مدارج السالكين ":

(والفرق بين " العلم " و " المعرفة " لفظا ومعنى.

أما اللفظ:

ففعل " المعرفة " يقع على مفعول واحد.

قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ سورة يوسف

---

(١) أصول البحث العلمى ومناهجه. د/ أحمد بدر ص١٨ .

وفعل " العلم " يقتضى مفعولين.

كقوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة الممتحنة

وإن وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة.

قـــال تعالى:

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الأنفال

أما الفرق المعنوى فمن وجوه:

أحدها: أن " المعرفة " تتعلق بذات الشئ ، و " العلم " يتعلق بأحواله،

فتقول: عرفت أباك ، وعلمته صالحا عالما ، ولذلك جاء الأمر في القرآن بـــالعلم دون المعرفة. كقوله تعالى :

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

سورة محمد

الثانى: أن " المعرفة " تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه. فإذا أدركه قيل: عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت فى نفسه ، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها ، قيل عرفه،

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

سورة يونس

الوجه الثالث: أن " المعرفة " تفيد تمييز المعروف عن غيره ، و " العلم " يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره ، وهذا الفرق غير الأول ، فإن ذاك يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها ، وهذا يرجع إلى تخليص الذات من غيرها وتخليص صفاتها من صفات غيرها.

الوجه الرابع: أنك إذا قلت: علمت زيدا، لم يفد المخاطب شيئا، لأنه ينتظر بعد: أن تخبره على أى حال علمته ؟ فإذا قلت: كريما أو شجاعا، حصلت له الفائدة.

وإذا قلت: عرفت زيدا، استفاد المخاطب: أنك أثبته وميزته عن غيره، ولم يبق منتظرا لشئ آخر، وهذا الفرق فى التحقيق إيضاح للفرق الذى قبله.

الوجه الخامس: وهو فرق العسكرى فى فروقه – وفروق غيره: أن " المعرفة" علم بعين الشئ مفصلا عما سواه، بخلاف " العلم " فإنه قد يتعلق بالشئ مجملا، وهذا يشبه فرق صاحب المنازل. فإنه قال: " المعرفة إحاطة بعين الشئ كما هو وعلى هذا الحد: فلا يتصور أن يعرف الله ألبته ، ويستحيل

عليه هذا الباب بالكلية فإن الله سبحانه لا يحاط بـــه علمـــاً ولا معرفـــة ولا رؤية.(١)

قـــال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾

سورة طه

والمعرفة هى مجموعة من المفاهيم والآراء والتصورات الفكرية التـــى تتكون لدى الفرد كنتيجة لخبراته فى فهم الظواهر والأشياء المحيطة بـــه ... أو هى مجرد المعلومات التى تصل إلى الإنسان بدون تمحيص أو تدليل وبرهنـــه، وهى أوسع وأشمل من العلم ، وهى – أى المعرفة – أنواع (٢).

والعلم هو أسلوب تحقيق هذه المعرفة وتمحيص الحق مـــن البـــاطل، ومعنى ذلك أنه ليست كل معرفة تعد معرفة علميـــة ، وليســـت جميـــع أنـــواع المعارف على مستوى واحد، وإنما تختلف باختلاف ما تتمتع به من دقه، ودقـــة المعرفة تنبعث من مدى ما تتميز به من أساليب التفكير وقواعـــد المنـــهج التـــى اتبعت فى الوصول إليها.

والملاحظ فى الاستعمال القرآنى لمشتقات المعرفة أنه يربطـــها دائمـــاً بحصيلة الكسب والممارسة بناء علي أمارات أو علامات أو شواهد .

---

(١) مدارج السالكين. لابن القيم ح٣ ص ٢٤٣ - ٢٤٤

(٢) أنواع المعرفة: بعضها معارف تقتصر على مجرد ملاحظة الظواهر ملاحظة بسيطة غـــير مقصورة. وبعضها تأملية أو فلسفية – فيما وراء الطبيعية – عـــن المـــوت والحياة والخالق. وبعضها معارف علمية تجريبية. تقوم علـــى الملاحظـــة والتجربة.

قال تعالي:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

سورة البقرة

وهذه الطبيعة الخاصة بالمعروف وهى كونها عادة حصيلة الممارسة والمعاناة والتجربة والاكتساب منعت من أن تنسب المعرفة إلى الله سبحانه. فلا يقال الله يعرف ، أو عارف ، على حين أن العلم فى عمومه وإطلاقه وسعة مدلوله قد نسب إليه سبحانه كما نسب أيضاً إلى الإنسان كل بحسب ما يليق به.

تعريف منهج البحث العلمي:-

إذن " منهج" يعنى الطريق الواضح و "بحث" يعنى التفتيش، و " علمى" يعنى المعرفة اليقينية، هذا لغة، إذن مجموعة هذه الكلمات يعنى لغة أو يفيد فى علم اللغة أنها الطريق الواضح للبحث عن الحقيقة والمعرفة اليقينية.

وقد ذكرت تعريفات كثيرة لمنهج البحث العلمى كلها تدور حول مفهوم واحد منها:

هى الدراسة الفكرية الواعية للمناهج المختلفة التى تطبقها مختلف العلوم تبعا لاختلاف موضوعات هذه العلوم. (١)

ومنها أنه مجموعة من الخطوات المنظمة، والعمليات العقلية الواعية، والمبادئ العامة، والطرق الفعلية، التى يستخدمها الباحث لتفهم الظاهرة موضوع الدراسة.

---

(١) المنطق وفلسفة العلوم. بول موى ص ٤٨ ، والتفكير المنطقى. د/ عبداللطيف محمد العبد ص ١٩٠ ، ومناهج البحث العلمى. د/ عبداللطيف العبد ص٧

ومن ثَمَّ فالمنهج يجيب على سؤال مؤداه كيف يمكن حل مشكلة البحث، والكشف عن جوهر الحقيقة ، والوصول إلى قضايا يقينية لا يشوبها احتمال أوشك. [1]

ومنها أنه مجموعة الأدوات العلمية الفنية التى يستخدمها الباحث للوصول إلى الحقيقة اليقينية لظاهرة من الظواهر الطبيعية أو غير الطبيعية.[2]

ومنها أنه عبارة عن الطرق المقننة والمنظمة التى يسلكها الباحث فى معالجة أية مشكلة من مشكلات المعرفة كشفاً واختراعاً أو تدليلاً وبرهاناً متفقاً مع الأسلوب والطريقة التى تناسبها.[3]

إن العلوم متنوعة ، والمناهج متعددة ، وكل علم له أسلوبه ومنهجه، والإنسان لا يصل إلى مطلوبه وغايته بسهولة ، بل لابد من منهج يلتزمه، وأدب يتحلى به، حتى لا يضل ولا يحيد ، ومن هنا كانت فائدة المنهج أنه يسهل للباحث طريقه فى البحث، ويحفظه من الضلال، ويكون على بينة وبصيرة فى بحثه ، وليس من المعقول أن يسير الباحث بغير المنهج الذى يلائم بحثه ، وليس هناك علم أو تقدم علمى إلا عن طريق البحث ، وتقدم البحث العلمى يعتمد على المنهج ، يدور معه وجوداً وعدماً ، صدقاً وزيفاً.

(1) المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج. د/ محمد عزيز سالم ص ١٤٣
(2) أضواء جديدة حول منهج البحث العلمى فى العلاقات الدولية. السيد أبوعيطة ص١٣
(3) البحث العلمى ومناهجه النظرية. د/ سعد الدين صالح ص١٤

المبحث الثانى

مناهج البحث العلمى.. أهميتها والحاجة إليها فى الدعوة إلى الله تعالى

مصادر البحث العلمي:-

مصادر البحث العلمي عند الماديين تنحصر فيما يدركه الحس من الماديات، أو يدركه العقل من المعقولات ، ولا يؤمنون بأي مصدر وراء ذلك.

ونحن المسلمين نؤمن بهذين المصدرين ، ونعتبر الحواس والعقل أدوات مهمة ، بل نعماً جليلة، وهبها الله للإنسان ليتعرف بها على نفسه، وعلى آفاق الكون من حوله، ويطل بواسطتها على ما فيه من سنن وأسرار تعد من أعظم الشواهد ، وأدل الآيات على الرب الأعلى، الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى.

ولكننا – نحن المسلمين – نؤمن بأن هناك مصدراً آخر للمعرفة، يعلو على هذين المصدرين ، ويسددهما إذا أخطأ الصواب ، أوضلا السبيل، وهو: الوحي الإلهي ، المتمثل في كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الله تبارك وتعالى، قد منح الإنسان جملة هدايات ، تهديه إلى معرفة نفسه، ومعرفة الأفاق من حوله، ومعرفة مبدئه ومصيره ورسالته:

منحه هداية الحواس ، ليتعامل بها مع الكون الذي يعيش فيه، بما فيه ومن فيه، ويستخدمها في تحقيق أهدافه التي خُلِقَ لها، ولكن الحواس لها مجال معين لا تتعداه ، كما أنها يمكن أن تخطئ ، لهذا من الله تعالى على الإنسان بهداية أعلى، وهي هداية العقل، الذي يصوب خطأ الحواس، ويعمل فيما لا مجال لها فيه من المدركات. كالرياضيات والمجردات والقوانين الكلية ، وكل ما عدا الجزيئات المحسة، ولكن العقل برغم أهميته في اكتساب المعرفة، وقدرته على التفريق بين الحقيقة والوهم، وبين اليقين والظن، فكثيراً ما تحكمه العجلة، أو يركبه الغرور، أو تغلبه الأهواء، أو تؤثر عليه البيئتان الخاصة والعامة، والمواريث الدينية والثقافة من حوله ، إيجاباً أو سلباً، فيبتعد عن الحق، وينحوف عن الصواب، ويزين له سوء عمله فيراه حسنا، بالإضافة إلى أنه غير مفهوم،

وأن مجاله محدود ، وأنه لا يعرف من الكون الذى حوله إلا قليلاً، وأنه لا يعرف إلا ظواهر الأشياء، أما كنهها وحقائقها فلا يعرفها.

أما ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) فإذا دخل العقل فيها ، فإنما يدخل ضيفاً فى دار ليست له ، ويسلك طريقاً قد يعرف أوله ، ولا يعرف آخره.

لهذا كان العقل فى حاجة إلى معين يهديه ... وهذا المعين للعقل هو الوحى الإلهى ، الذى اصطفى الله تعالى له الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، والذى ختم فى الرسالة الخاتمة: فى القرآن الكريم والسنة النبوية.[1]

قال ﷺ :(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى)[2]

أهمية مناهج البحث العلمى:

تظهر أهمية مناهج البحث العلمى من خلال النقاط الآتية:

أولا:- المنهج أداة العلم:

ليس هناك علم أو تقدم علمى إلا عن طريق البحث ... وتقدم البحث العلمى يعتمد على المنهج ... يدور معه وجوداً وعدماً ، وصدقاً وزيفاً، ومن هنا فإن علم مناهج البحث العلمى ليعد اليوم من أهم العلوم التى تلعب أخطر الأدوار فى تاريخ الأمم ، فما وصلت الحضارة الحديثة إلى ما وصلت إليه من أسباب التقدم المادى إلا بفضل الدراسات المنهجية والأبحاث التخصصية الدقيقة القائمة على أسس علمية سليمة.

---

(1) السنة مصدر للمعرفة والحضارة. د/ يوسف القرضاوى ص ٨٤ بتصرف

(2) سنن ابن ماجة ح٢ ص١٠٢٥ ك المناسك. باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجمع الجوامع. للسيوطى. العدد الثامن. الجزء الثانى من السنن القولية ص١٠١٦

قال د/ عبدالمقصود عبدالغني في كتابه " نظريات في مناهج البحث العلمي ":
(للمنهج أهمية عظمى ، فالمنهج أداة العلم وعدته ، ولا سبيل لإجراء تقدم في مجال البحث العلمي بدون منهج صحيح ، فبدون المنهج يتخبط الباحث في سيره، وقد يضل ولا يحقق ثمرة أو غاية من بحثه، ولذا فالإنسان وهو ينشد الحق، ويفتش عنه في أنحاء الوجود، وميادين العلم، ويتطلع إلى التقدم في حاجة ماسة إلى منهج، ولا سبيل له إلى إدراك الحق، وإحراز تقدم حقيقي في مجال العلم بدونه، وربما لا يكون من المبالغة القول بأن المنهج الصحيح هو أساس التقدم في مجال البحث العلمي ، ومما يدعم هذا القول ويبرهن عليه أن النهضة الحديثة والتقدم العلمي الهائل الذي أحرزه الغرب لم يتحقق إلا بعد أن اهتدى إلى المنهج العلمي الصحيح ، منهج الكشف والابتكار ، منهج الاستقراء التجريبي ، فهذا المنهج كان – بحق – فتحا من فتوحات العلم.

ومن ثم فلا غناء للإنسانية عن المنهج، وسوف تظل حاجتها إليه على مر العصور والأزمان ما دامت تنشد الحق – وهو قيمة إنسانية خالدة – ومادامت تولي وجهها شطر البحث العلمي، وتتطلع إلى كشف المزيد من أسرار الكون)[1]

وتبدو أهمية البحث العلمي في أنه ساعد على رقي الأمم وتقدمها في وقت قياسي، لأن الباحث في هذه الحالة إنما يسير في أبحاثه على الطريقة العلمية التي تمكنه من اختصار الوقت ، والوصول إلى النتائج من أقصر طريق ، حتى لا يضل في متاهات العلم وأروقته.

بالإضافة إلى أن هذا العلم هو وسيلة الخلق والابتكار ، كما أنه وسيلة لكشف الأخطاء الشائعة الناتجة عن الأبحاث المبتسرة وغير المنهجية ، فبواسطة

---

(1) نظريات في مناهج البحث العلمي. د/ عبدالمقصود عبدالغني ص٤

هذا العلم استطاع علماء المسلمين أن يكتشفوا كثيرا من النظريات العلمية فى كل مجالات المعرفة ، كما استطاعوا أن يكتشفوا الأخطاء التى وقع فيها فلاسفة اليونان وعلماؤهم، وكذلك استطاع علماء أوربا أن يحطموا كثيرا من النظريات القديمة فى شتى العلوم ، وأن يأتوا بجديد.

قال د/ توفيق الطويل فى كتابه " أسس الفلسفة ":

(إن البحث عن الحقائق ومحاولة التوصل إلى قوانين عامة، لا يكون قط بغير منهج واضح يلزم الباحث نفسه بتتبع خطواته ومراحله، ومن هنا أضاف المحدثون إلى مباحث المنطق مبحثا جديدا هو طرائق أو مناهج البحث العلمى)[1]

إن الوصول إلى الحق فى مجال علمى، يستلزم أن يتبع الباحث منهجا صحيحا، وذلك لأن المنهج هو روح البحث، وطريق الباحث، به يصل إلى الغاية. ويحقق المطلوب، ويميز الحق من الباطل.

ثانيا:- الدول المتقدمة واتباع المنهج العلمى:-

وتزداد أهمية البحث العلمى بازدياد اعتماد الدول عليه ، ولاسيما المتفوقة منها ، لأنها كلها أصبحت تدرك مدى أهمية البحث العلمى فى استمرار تقدمها وتطورها ، وبالتالى تحقيق رفاهية شعوبها والمحافظة على مكانتها الدولية وأمنها القومى.

جاء فى كتاب " مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ":-

(تعطى الدول فى عصرنا الحاضر اهتماما متزايدا للبحث العلمى ، ويبدو هذا الاهتمام واضحا على الوجه الأخص فى الدول المتقدمة ، وقد أدركت الدول

---

[1] أسس الفلسفة. د/ توفيق الطويل ص١٤٠

النامية أهمية البحث العلمى فى دراسة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية ، وفى التخطيط للتنمية القومية فى شتى المجالات.

ومن مظاهر هذا الاهتمام الزيادة المطردة فيما يخصص للبحث العلمى من أموال فى الميزانيات القومية وميزانيات المؤسسات العلمية والإنتاجية)[١]

وإذا كانت الدول المتقدمة تولى أهمية كبيرة للبحث العلمى فذلك يرجع إلى أنها أدركت أن عظمة الأمم تكمن فى قدرات أبنائها العلمية والفكرية والسلوكية.

وإذا كانت المجتمعات الإسلامية الحديثة تريد أن تنهض من كبوتها ، وتخرج من مأساتها، وتنفض عن كاهلها تراب التخلف والتأخر، فعليها أن تهتم بالمناهج العلمية، وتربى أبنائها على مبادئه وأصوله، فإن تقدمها رهين بالمنهج العلمى.

والدول المدركة لواجباتها الوطنية ترفض أى تقصير فى ميدان البحث العلمى ، لأنها تعد البحوث داعمة أساسية لاقتصادها وتطورها وحضارتها الذاتية.

ثالثا:- الباحث ومعرفة مناهج البحث العلمى:-

إذا كانت مناهج البحث العلمى مهمة للإنسان العادى فهى أكثر أهمية للباحث فى المعاهد العلمية ، وفى مراكز البحث ، لأن الإلمام بهذه المناهج وقواعدها يسهل مهمة الباحث ، ويجعله أكثر حرصا على اتباع القواعد العلمية فى كتابة أبحاثه. وتقاريره، لما لها من مردود إيجابى فى تنظيم سير العقل ، وبالتالى محاولة تفسير الظواهر والأحداث بطريقة منظمة.

---

[١] مناهج البحث فى التربية وعلم النفس. د/ جابر عبدالحميد جابر ، د/ أحمد خيرى كاظم ص٢٣ .

رابعا:- الدعوة ومناهج البحث العلمى:-

إذا كانت معرفة مناهج البحث العلمى مهمة لكل باحث فهى أكثر أهمية للداعية إلى الله سبحانه وتعالى، لأن الدعوة لن تنجح إلا باتباعها والتزامها، وهى شرط لصحة العمل الدعوى ، خاصة فى العصر الحاضر الذى كثرت فيه الفتن، وتعددت فيه الآراء.

قال د/ محمود حمدى زقزوق فى كتابة " مفاتيح الحضارة وتحديات العصر ":

(ومن هنا تأتى أهمية التوعية الدينية المؤسسة على مقررات العقل السليم ، والتوعية العلمية المبنية على المناهج العلمية الصحيحة، حتى يتبين للجميع أنه ليس هناك أساس للخصومة المصطنعة بين الدين والعلم)[1]

ولا ينكر أحد أهمية مناهج البحث العلمى فى مقام الدعوة، فالمناهج هى حياة الدعوة ، وكم من دعوة انتشرت وسادت باتباع المناهج الصحيحة، وكم من دعوة ضعفت وتخلفت بافتقاد المنهج، وترك البحث العلمى.

الحاجة إلى مناهج البحث العلمى فى الدعوة إلى الله تعالى:-

التفكير العلمى أو البحث العلمى ليس تفكير العلماء إنه تفكير يحتاج إليه كل الناس ، سواء كانوا مدرسين أم طلابا، مهندسين، عمالا، أطباء، أم محامين، مزارعين، أم تجارا، فجميع الناس يحتاجون إلى البحث كما يحتاج إليه العلماء.

والبحث العلمى هو الأساس فى تقدم التاجر، وازدهار المزارع، وتحصيل الطالب، وتخطيط المعلم، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

إن ممارسة أى عمل تتطلب أن تكون لدينا أساليب ومهارات البحث العلمى لكى نفهم هذا العمل ، ونحلل أبعاده ومهاراته الأساسية.

---

[1] مفاتيح الحضارة وتحديات العصر. د/ محمود حمدى زقزوق ص٩٥

" إن الحاجة للمعرفة والبحث العلمى اليوم أكثر من أى وقت مضى، فدول العالم الآن فى سباق محموم لاكتساب أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم، وهذه المعرفة التى تقود إلى التقدم والرفاه وتضمن للإنسان التفوق على غيره، وقد تأكد بما لا يدع مجالا للشك أن المعرفة العلمية هى مفتاح النجاح للإنسان أو للدولة العصرية " (١)

والدعوة إلى الله تعالى – وهى أشرف وأهم الأعمال – أشد حاجة إلى مناهج البحث العلمى، الذى يسهل أمرها، ويؤكد صدقها، فى وقت قليل، وجهد بسيط.

" فالمنهج هو مصدر التلقى والعمل للدعوة لن يستقيم إلا بالانضباط التام للمنهج فى كل شئ من أول خطوة..

والمنهج هو الذى يحدد التصور والاعتقاد والسلوك وطرائق العمل. والمنهج مصدره الكتاب والسنة، كما أن الأهداف والوسائل تضمن وفق ذلك المنهج، فكذلك مواجهة الظروف والأحداث ووزن الأشخاص والأشياء تستمد كلها من ذلك المنهاج "(٢)

ومما يؤكد حاجة الدعوة إلى مناهج البحث العلمى، أن الدعوة يشترط فيها أن تكون على بصيرة.

قال تعالى:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

سورة يوسف

---

(١) مناهج البحث العلمى أسس وأساليب. د/ عمار بوحوش ، د/ محمد محمود الدينبات ص٧

(٢) الأهداف الرئيسية للدعاة. أحمد القطان ، جاسم مهلهل ص٣٠&٣١&٣٢

ولن تكون كذلك إلا باتباع المنهج العلمي الملائم الذى يراعى حال المدعو عقلا ونفسا وظروفا ... إلخ.

وإذا كان أسلوب الجدل والمناظرة من الأساليب العامة للدعوة، فإن الداعية لن يستطيع أن يواجه خصمه بالمنع(١) والنقض(٢) والمعارضة(٣) إلا إذا كان على دراية تامة بمناهج البحث العلمى، حتى يتمكن من بحث الدعوى موضوع المناظرة، وبحث أدلة الخصم، وبحث ما يترتب على أدلته هو من اعتراضات ... إلخ.

وإذا كانت الدعوة عطاء وإنفاق، فإن ذلك يتطلب أن يتزود الداعية بالثقافة. وهذه الثقافة منها ما هو إسلامى، ومنها ما هو تاريخى، ومنها ما هو إنسانى، ومنها ما هو علمى، ومنها ما هو واقعى.

وهذه العلوم فيها الضعيف والموضوع، والفاسد والباطل ، والداعية إذا لم يتسلح بفقه مناهج البحث العلمى، لا يستطيع مقاومة هذه السموم الفكرية، ولا يتمكن من اتخاذ موقف محدد منها بناء على دراسة صحيحة لا على خيالات أو إشاعات.

ومن هنا فإن الحاجة ماسة إلى الأخذ بالمنهج العلمى الإسلامى، فهو الأقدار على إذكاء روح الصحوة الإسلامية، وتحقيق التغيير الحضارى.

الدعوة الإسلامية والبحث العلمى:-

---

(١) المنع : طلب الدليل على مقدمة معينة، ويسمى مناقضة ونقضا تفصيليا أيضا.

(٢) النقض: إبطال الدليل بعد تمامه متمسكا بشاهد يدل على عدم استحقاقه للإستدلال به. وهو استلزامه فسادا ما. وفصل بدعوى التخلف. أو لزوم محال، ويسمى "نقضا إجماليا".

(٣) المعارضة: إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم. فإذا تحد دليلا هما فمعارضة بالقلب ومعارضة بالمثل. وإلا فمعارضة بالغير.

(انظر الرسالة الرشيدية ص ٣٧ وكما بعدها)

أشرقت شمس الدعوة الإسلامية ، فبددت ضباب القلـــوب والعقــول ، وأطلقت الطاقات الإبداعية لتعمل عملها فى المعقول والمنقول ، وفتحت للبشـــرية آفاقاً رحبة للبحث العلمى والدرس ودعم القواعد والأصول.

لقد كانت أول آية نزلت على سيدنا محمدﷺ هى فى الواقع أول انطلاقة حاسمة لإنهاء عهد الأمية البشرية ، وبدء عهد التعلم الناضج الذى يستخدم كافـــة الملكات والطاقات.

وهذا يوحى أن العلم فى الإسلام إنما هو علم فـــى حضانـــة الإيمـــان، فالعلاقة بينهما علاقة التواصل والتلاحم، لا التقاطع والتنافر، علاقة التكـــامل، لا علاقة التعارض.

ومن هنا يسير العلم والإيمان فى الإسلام جنبا إلى جنب، ولـــذا جمـــع القرآن الكريم بينهما

فى قوله تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

سورة الروم

وقوله تعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

سورة المجادلة

بل يرتب القرآن الكريم الإيمان على العلم ، فالإنسان يعلم فيؤمن، ومقتضاه أنه لا إيمان قبل العلم.

قال تعالى

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

سورة الحج

والعلم الذى يدعو إليه الإسلام هو العلم الشامل بشقيه الدينى والمادى، أما الشق الدينى فهو العلوم التى مصدرها الوحى، وتعنى بأمور العقيدة والشريعة والأخلاق، أما الشق المادى فهو علوم البحث فى ظواهر الكون والحياة.

والقرآن الكريم يقرر أن العلم بحقيقة الكون بكل عناصره يقود صاحبه إلى ميدان الخشية من صاحب الكون ومدبر أمره.

قال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

سورة فاطر

والعلماء المذكورون فى الآية هم علماء الطبيعة والكون والأرض والنبات والإنسان والحيوان.

قال د/ يوسف القرضاوى فى كتابه " الحياة الربانية والعلم ":

(ومن هنا نرى أن العلم الذى أشاد به القرآن ليس مقصوراً على علم الذين وحده ، وإن كان علم الدين له الصدارة والأولوية ، لأنه العلم الذى يتعلق بالمقاصد والغايات، وعلوم الدنيا تتعلق بالوسائل والآلات، ولكنها مهمة أيضاً لنماء الحياة وبقائها)[١]

ومما عنى به الإسلام: الحث على التعلم والبحث والتفكر والتأمل.

فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٢]

ومن خير ما يروى فى هذا الصدد حديث السيدة عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن أعجبت ما رأته من رسول الله ﷺ ، حيث بكت وأطالت، ثم قالت: كل أمره كان عجباً، أتانى فى ليلتى حتى مسَّ جلده جلدى، ثم قال: ذرينى أتعبد لربى عز وجل، فقلت: والله إنى لأحب قربك، وإنى أحب أن تعبد ربك، فقام إلى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر صبَّ الماء، ثم قام يصلى فبكى حتى بلَّ لحيته، ثم سجد فبكى حتى بلَّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال: رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله علي فى هذه الليلة:

---

(١) الحياة الربانية والعلم . د/ يوسف القرضاوى ص٧٥

(٢) سنن ابن ماجة ح١ ص٨١ المقدمة. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. وصححه الأباب فى صحيح الترغيب والترهيب.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

إلى قوله تعالى

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

سورة آل عمران

ثم قـــال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.[١]

ولم يقف الإسلام عند هذا الحد ولكنه تحدث عن منافذ المعرفة للإنســـان. وأدوات البحث العلمى ، هى: السمع والأبصار والأفئدة [٢]، وأمره أن يوظفها، وحذره من تعطيلها.

قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

سورة النحل

(١) تفسير القرطبي ج٢ ص ١٥٥٢، ط الريان

(٢) المعرفة " السمعية " تدخل فيها العلوم النقلية.
والمعرفة " البصرية " تدخل فيها العلوم التجريبية.
والمعرفة " الفؤادية " يدخل فيها المعرفة العقلية عن طريق النظر والتفكير والاعتبار.

وقـــال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

سورة الأسراء

على هذا النحو الرائع تقررت فريضة البحث العلمى فى الإسلام، وفطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية والنبوية المتعلقة بطلب العلم النـــافع، وإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض ، وبهذه الروح الإيمانيـــة الوثابـــة، والعقلية العلمية الخلاقة ، اندفع المسلمون وعلماء الحضارة الإسلامية إلـــى أداء البحث العلمى كأحسن ما يكون الأداء، وأخذوا بمنهج النظر العميق فى مختلـــف مجالات العلوم، وفطنوا إلى تعدديـــة منـــاهج البحـــث العلمـــى الفرعيـــة تبعـــاً لموضوعاتها.

مناهج البحث العلمى ابتكار إسلامى:-

لقد أرسى الفكر الإسلامى قواعد وأساليب التحصيل العلمى لشتى العلوم الإنسانية النظرية والتطبيقية ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى مناهج البحـــث فـــى العلوم ، وحدد لكل موضوع من موضوعات المعرفة ما يناسبه مـــن المنـــاهج، وبهذا كان القرآن الكريم بحق هو أول كتاب سماوى يساعد على تقـــدم المعرفـــة وتطورها، ولقد سار مفكرو الإسلام على منهجه، فوضعـــوا الأســـس واللبنـــات الأساسية فى بناء علم مناهج البحث الذى تعلمه فلاسفة أوربا على يد المســـلمين فبنوا عليه حضارتهم.

قال الأستاذ/ أنور الجندى فى كتابه " سموم الاستشراق والمستشرقين "

(فقد ارتقى المسلمون إلى درجة علمية أساسها (التجربة والملاحظـــة) وهـــى الأساس فى إرساء المناهج العلمية الحديثة ، ولم يبتدع المسلمون هـــذه الطريقـــة

ولكنهم أخذوها من منهج القرآن فى طرح العلم القرآنى ، ومن ثمَّ فإن منهج العلم الحديث يتفق مع العلم)[١]

لقد ظهرت البواكير الأولى لمناهج البحث العلمى فى مجـــالات الفقــه والحديث واللغة وعلم الكلام ، وهذه العلوم بأجمعها بحثـــت ودونـــت وتحـــددت مناهجها استجابة لمتطلبات الخصائص الإسلامية.

قال د/ محمد عبدالستار نصار فى كتابه " الإسلام رؤية حضارية "

(لقد وضع المحدثون أسساً قويمة للحكم على الحديث من حيث الصحة وعدمها ، جاء غاية فى الدقة لا يتطاول إليه منهج البحث التاريخى الذى ظهر حديثا.

كما وضع علماء أصول الفقه منهجاً للبحث فى كيفية استخراج واستنباط الأحكام من أدلتها عدّه كثير من الباحثين فى الوسيط والحديث مـــن أحســـن مـــا كشفت عنه الحضارة الإسلامية .

أما فى مجال أصول الدين فقد وضع المتكلمـــون منـــهجاً يقـــوم علـــى مقدمات ومسلمات انبثقت من تصوراتهم، هى فى ذاتها بعيدة كل البعد عن طبيعة المنطق الأرسطى.

وإذا التفتنا إلى المجال التجريبى نلاحظ أن المسلمين قد أبلوا بلاء حســنا فى هذا المجال... وقد استرعى هذا المنهج أنظـــار البـــاحثين المنصفيـــن فـــى الغرب... ونجحوا فى التشريع وفى وضع قواعد اللغة من نحو وصرف فى شكل عام محكم)[٢]

---

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين. أنور الجندى ص٧٤

(٢) الإسلام رؤية حضارية. أ د/ محمد عبدالستار نصار ص٦٦

وكان لتبنى العلماء لمناهج البحث العلمى أثره الكبير فى تقدم العلوم ، وفى تطور الطريقة العلمية ، وهذا ما يؤكد أصالة المناهج فى الفكر الإسلامى.

ويمكن أن نؤكد أن علماء الإسلام فى هذه المرحلة بالذات ميزهم الإسلام بحصانة فكرية طرحوا بواسطتها أى لون من ألوان التفكير الخارجى – وخاصة الفكر اليونانى بما فيه من المنطق الأرسطى – وتمسكوا بمنهج إسلامي خالص دفعهم للإبداع والابتكار.

وبالإضافة إلى المنهج الاستنباطى والاستقرائي استعان المسلمون بطرق ومناهج أخرى مارسوها فى عملية البحث وصياغة النظرية العلمية، وخرجوا من مجموع تلك المناهج بنتائج تؤدى إلى استيعاب متطلبات البحث العلمى الدقيق.

وهذا يعنى أن مقومات المنهج لدى الإسلاميين نبعت من داخل الفكر ذاته حيث تمثل مباحث الاستدلال الإسلامية ... ويؤكد ابتعاد الأصوليين عن الأخذ بمنطق أرسطو وممارستهم لمنهج آخر انتهوا إليه من خلال استدلالاتهم العلمية. ومع أن علم مناهج البحث العلمى وليد الدعوة الإسلامية ، وأن مفكرى الإسلام هم الذين خططوا له ، ووضعوا أسسه ، حاول بعض الباحثين واعتبروه علما غربيا، وابتكارا أجنبيا، وأغفلوا عن عمد أو جهل إبراز السبق الإسلامى لهذا العلم.

قال د/ على سامى النشار:

(واندفع هؤلاء المستشرقون والمبشرون وأذنابهم يعلنون أن المسلمين احتضنوا منهج الحضارة اليونانية ... المنطق الأرسطاليسى، وأنه لم يكن لهم ثمة منهج غيره.

بل كان المنهج قد تكون منذ البدء – مستندا على القرآن والسنة – معبرا عن روح الإسلام الدقيقى... إن البعث الحقيقى للروح الإسلامية وللأمة

الإسلامية هو العودة الكاملة لهذا المنهج. هو الأخذ بنصوص القرآن والسنة والعودة إلى قانونهما.

إن الدراسة العلمية النزيهة، تثبت بصورة قاطعة أن المسلمين لم يقبلوا هذا المنطق الأرسطاليسى القياسى ، بل هاجموه ونقدوه أشد الهجوم وأعنف النقد، ثم وضعوا منطقا جديدا، هو المنطق أو المنهج الاستقرائى، وكل منهج من هذه المناهج يعبر عن روح حضارة خاصة ذات ملامح تختلف أشد الاختلاف عن الأخرى)[1]

وإذا كنا نلتمس العذر لمفكرى الغرب النصرانى فى نسبة هذا العلم إليهم لجهل منهم بحقائق الإسلام ومراحل تاريخه ، أو لحقد فى نفوسهم يمنعهم من قول الحق ، فإننا لنعجب أشد العجب من كتاب عرب ومسلمين يأخذون ما يقرره مفكرو الغرب فى هذه القضية مأخذ التسليم ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى كتب التراث الإسلامى ، والتى تهدم كل الدعاوى التى تحاول أن ترتد بهذا العلم إلى فلاسفة وعلماء الغرب النصرانى.

وقد تبين أخيرا خطأ الرأى الذى حمل لواءه " أرنست رينان " والقائل بأن الفلسفة الإسلامية هى: فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية.

وقد اعترف علماء الغرب اعترافا واضحا جازما بأكثر من صيغة وعصر وكتاب ، بأنه لولا أعمال العلماء المسلمين لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدعوا من حيث بدأ أولئك ، ولتأخر سير المدينة عدة قرون.

وإذا كانت الحضارة السابقة على الإسلام قد شهدت بعض إشارات عابرة إلى منهج البحث ، وبذور غائرة فى طيات الأرض لم تثمر ثمارها

---

[1] مناهج البحث عند مفكرى الإسلام. د/ على سامى النشار ص١١ – ١٢

المرجوة ، فإن الحضارة الإسلامية شهدت أعظم ازدهار لمناهج البحث العلمى لم تشهدها حضارة من قبل.

قال د/ سعد الدين صالح فى كتابه " البحث العلمى ومناهجه النظرية ":

(لقد كانت هناك عوامل كثيرة ساعدت على ظهور هذا العلم فى العالم الإسلامى ومنها:

١- **القرآن الكريم:** فقد تحدث عن مناهج المعرفة الإنسانية، وحدد الموضوعات الملائمة لكل منهج، ودفع الناس إلى دراسة الكون، وإلى البحث فى الظواهر الحسية، وإلى إعمال الفكر والعقل.

٢-**السنة النبوية المطهرة:** التى دفعت إلى العلم وحثت الناس على تحصيله.

٣-**حرية الرأى والبحث العلمى:** التى كفلها الإسلام، فقد تمتع العرب بحرية رأى ليس لها نظير، فلم يكونوا يخشون السلطان أو الحكام، وإنما كتبوا مباحثهم تحت رعاية وتقدير هؤلاء الحكام.

٤-**استعلاء العلماء المسلمين عن الترف والمال:** حتى كان الحسن بن الهيثم يقول: " يكفينى قوت يوم ".

٥-الإستعداد الذهنى والصبر والجلد على العمل والمناخ العلمى المناسب.

٦-تعلم العلم للعمل والنظر إليه كهدف وغاية فى حد ذاته دون قصد إلى أى هدف آخر من جاه أو سلطان أو رياسة: حتى قال الإمام الغزالى: العلماء يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة)(١)

لقد دعا القرآن الكريم إلى العلم دعوته إلى الدين ، وأنه دعا صراحة إلى دراسة مختلف العلوم الدينية والدنيوية ، ودعا إلى الفكر والتأمل والنظر فى

---

(١) البحث العلمى ومناهجه النظرية. د/ سعد الدين صالح ص٢٦

الكون ، وقرر القرآن الكريم أن التجربة المعملية أو العملية هى خير وسائل الإقناع.

والأحاديث النبوية الشريفة التى هدف الرسول الكريم من ورائها إلى العلم والتعلم كثيرة ، الأمر الذى جعل المؤرخين يعترفون أن نبى الإسلام قد أوصى بالعلم بما لم يوص به دين آخر غير الإسلام.

بالإضافة إلى أن المسلمين استجابوا لدعوة ربهم ، وأحاديث نبيهم ﷺ، بعزم وإيمان ، وصدق وإخلاص ، ورغبوا أن يتميزوا عن غيرهم بدنياهم كما تميزوا بدينهم ، واندفعوا إلى البحث العلمى فى كل العلوم ، ووضعوا المناهج العلمية ، وسطعت فى سماء تاريخ العلم والحضارة علماء أفذاذ أمثال الكندى والبيرونى والهمدانى والخوارزفى وابن سينا وابن الهيثم وابن خلدون وغيرهم.

المبحث الثالث

ضوابط البحث العلمي

معنى الضابط:

جاء في لسان العرب (وضبط الشئ: حفظه بالحزم ، والرجل ضابط: أي حازم)[١]

وجاء في المعجم الوسيط (والضوابط عند العلماء حكم كلي ينطبق على جزئياته، والضابطة: الماسكة ، وجمعها ضوابط)[٢]

وجاء في المعجم الوجيز (ضبطه ضبطاً: حفظه بالحزم حفظاً بليغاً وأحكمه وأتقنه ، ويقال: ضبط البلاد وغيرها: قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص وضبط الكتاب ونحوه: أصلح خلله أو صححه وشكله)[٣]

من خلال ذلك يتبين أن اللفظة تحمل بين طياتها معاني الحفظ والإحكام والإتقان والقيام بالأمر والإصلاح والتصحيح والتشكيل ، وإذا أضيفت إلى " البحث العلمي " عني بها إحكام البحث العلمي وإتقانه ، وإصلاحه وتصحيحه من الخطأ ، والقيام به على وجه يحقق الهدف من البحث العلمي، فلا ينفلت وفق الأهواء والميول ، ولا يخرج عن حدوده.

والبحث العلمي رسالة عظيمة، ووظيفة دقيقة، ومهمة جليلة، دعا إليه القرآن الكريم ، ورغب فيه ، وجعله صفة لأولي الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض.

والبحث العلمي طاعة وعبادة ، ونور وهداية ، كلما قطع الباحث فيه شوطا ازداد معرفة وخشية من ربه وخالقه سبحانه وتعالى ، ومعرفة بكونه وخلقه ، وازداد تقدماً ونهضة ، وأصبح قادراً على مواجهة وحل مشكلاته.

---

(١) لسان العرب - لابن منظور ج٤ ص٢٥٤٩

(٢) المعجم الوسيط ج١ ص٥٣٣

(٣) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص٣٧٦

والبحث العلمى لا يتحرك اعتباطًا، ولا يسير عشوائياً ، ولا يخضع لهوى الباحث، وإنما يتحرك بضوابط ، محكوم بأصول.

ونظراً لأن البحث العلمى سلاح ذو حدين، يوصل إلى الحق والتقدم، ويستغل فى الحروب الثقافية والمادية والتحريف – كما فعل المستشرقون فى البحث العلمى – والبحوث الضارة، كان لا بد له من ضوابط تحفظه، وقواعد تحكمه، وآداب تقيده، حتى لا يخرج عن إطاره، ولا يتجاوز حدوده.

وأهم هذه الضوابط:

١-صحة المنهج:

الطرق والمناهج المستخدمة فى حل مشاكل البحث العلمى ذات أهمية بالغة ... ذلك لأن استخدام المناهج الخاطئة لا توصلنا إلى حل صحيح إلا بالمصادفة ، وعلى ذلك فإن الباحث يجب أن يلتزم المنهج الصحيح.

ويرسم القرآن الكريم منهجاً لاكتساب الحقائق العلمية ، وهذا المنهج لا يمكن الاستغناء عنه لكل باحث متأمل، وأسس هذا المنهج هى:

١-أن أية قضية من القضايا لا يمكن إثباتها بمجرد دعواها ، بل لا بد أن تكون مستنده إلى دليل يدعمها ، وبمقدار صحة الدليل وقطعيته تكتسب القضية الصحة والثبوت ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم فى مواضع مختلفة منها

قوله تعالى:

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾

سورة البقرة

٢-الواجب على الباحث أن يفرق فى أثناء عملية الاستدلال بين الدليل اليقينـــى والدليل الظنى وما دون الظنى ، وبين النظرية فى العلوم الطبيعية والحقيقـــة العلمية.

فالدليل اليقينى هو وحده الذى يصح الاعتماد عليه فى الاستدلال ، أما ما عداه مما كان فى منطقة الرحجان ، فلا يصح أن يتخذ دليلاً فى العقائد ، وهذا ما جاء

فى القرآن الكريم فى كثير الآيات، منها

قوله تعالى:

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سورة يونس

٣-لابد للباحث من طرح التقليد الأعمى، وهو أكبر خطر على الوصـــول إلـــى الحقائق وكشفها ، بل هو المِعْول الهدّام لصرح العلم الصحيح ، ولقد اقتلـــع الإسلام جذور التقليد من نفوس الجاهلين بعد صراع عنيف دام فـــترة مـــن الزمن غير قصيرة. من ذلك .

قوله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

سورة البقرة

٤-عدم التناقض بين الحقائق ، إذ لو جاز التناقض بين الحقائق لانهار صرح العلم ، ولما كان من فائدة لوجود العقل ، وهذا ما جاء موضحا في الآية الكريمة

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾

سورة الملك

إذ التناقض أشد من التفاوت ، فإذا انتفى التفاوت كان التناقض منفياً من باب أولى.

٥-الاعتماد على الحواس: قلنا إن من القضايا ما يمكن إثباته بطريقة الذهن وحده ، وأن قسماً آخر منها يفتقر فى إثباته إلى الاعتماد على الحواس ، ومن هذا القسم العلوم الطبيعية ، ومن وراء الحواس العقل ، والقرآن الكريم يطلب من الإنسان أن يعمل حواسه وعقله فى مظاهر الحياة ، وإلا يهملها

قال تعالى:-

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

سورة الإسراء

ولابد للباحث من أن يأخذ بهذه القواعد التى رسمها القرآن الكريم وجعلها منهاجاً للوصول إلى الحقائق ، بل لابد من التزامها حتى يكون فى حرز عن الخطأ ومجافاة الصواب ، وسواء أكانت هذه الحقائق دينية أم دنيوية أم غيرها.

٢ – فقه المناهج:

المنهج لا يبحث بذاته، ولكن يحتاج إلى باحث فاهم يحمله ويطبقه، قادر على استخدام المنهج استخداماً صحيحاً، فالأزمة ليست بافتقاد المنهج، فالمنهج موجود، لكن المشكلة بافتقاد وسائل الفهم الصحيحة ، وأدوات التوصيل، وكيفية التعامل مع مناهج البحث العلمي.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى الفقه قبل العمل ، ورغبت السنة النبوية في الفقه.

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

سورة التوبة

وقال ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين)[1]

وفقه المناهج والتفاعل معها مما يعين كل باحث على أداء رسالته، والقيام بواجبه، فضلاً عن أنه يحفظ الباحث من الخطأ والشطط ، وكل خطأ في أى بحث ودراسة يرجع إلى عدم فقه المنهج، وكيفية التعامل معه.

إنه ليس هناك ميزة خاصة يدعها الباحث بتسميته أو تحديده لمنهج بحث معين يقوم باستخدامه ، ذلك لأن الشئ الذى ينبغى أن يحظى باهتمامنا هو مقدرتنا على الإفادة من منهج معين في دراستنا بحيث نكون قادرين على الوصول إلى النتيجة بدقة.

---

[1] صحيح البخارى مع الفتح ج١ ص١٧٤ ك العلم. باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين

٣- مناسبة المنهج لموضوع البحث العلمى:-

من أهم ضوابط البحث العلمى أن يستخدم الباحث منهجاً مناسباً لموضوع البحث، فالمناهج تتنوع طبقاً لتنوع العلوم أو الظواهر التى يعرض لها الباحث بالدراسة والبحث العلمى وأصبح لكل علم منهجاً يناسبه ، ولكل شعبة أدوات خاصة لفهمها.

فالعلوم الرياضية والمنطقية (الصورية الذهنية الخالصة) منهج البحث فيها هو المنهج الاستنباطى والقياسى.

والعلوم الطبيعية أو التجريبية منهج البحث فيها هو المنهج الاستقرائى.

والعلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم الأخلاق... منهج البحث فيها هو منهج الوحى السماوى الذى كشف عن حقيقة الإنسان ، وبين قواه ومطالبه ونوازعه ، ووضع له العلاج الملائم.

والعلوم الإسلامية كعلم العقيدة والتفسير والحديث والفقه... وضع علماء الإسلام منهجا يناسب كل علم ، وطريقة تلائم كل بحث.

وإذا كان لكل علم أدواته وآلات فهمه ، ولكل منهج خصائصه وشروطه وميزاته، ولكل معرفة وسيلتها التى توصل إليها ، فإن ذلك يعنى أن أى منهج – مهما كان دقيقاً – لو استعمل فى غير ميدانه الذى وضع له، يكون مفسداً للنتائج والحقائق.

قال محمد تقى المدرسى فى كتابه " المنطق الإسلامى أصوله ومناهجه " :

(ليس سواء البحث عن علم النفس ، وعلم الطبيعة ... وليس سواء المناهج المتبعة فى علم الدين والفقه ، وعلم الجيولوجيا ... والخطأ فى اختيار المنهج المناسب لطبيعة البحث ، هو التسوية بين الموضوعات فى مناهج البحث ،

واستخدام وسائل بعيدة عن طبيعة كل موضوع، ذلك لأن الوسيلة غير المناسبة ستؤدى – بالطبع – إلى نتيجة غير صحيحة.

ولقد تنبه العلماء – حديثاً – إلى الفرق بين الموضوعات فى مناهج البحث ، فأخذوا يضعون لكل علم منهجاً يخصه ويتناسب معه ، ونجحوا بذلك فى تجنب أخطاء كبيرة ، ولكن لا يزال فريق منهم يحاول – اليوم – أن يعرف بعض الموضوعات ، بما هو بعيد عنها من المناهج ، فمثلاً يحاول إخضاع علم النفس لمنهج علم الطبيعة، وإخضاع علم الدين لمنهج علم الكيمياء، وينكر من الدين ما لا تؤيده البحوث التجريبية)[1]

إن المنهج المناسب روح البحث العلمى ، وهو منه بمثابة دم الحياة، ولا يمكن أن يثمر البحث ويصل الباحث إلى مطلوبه بغير المنهج المناسب.

٤- التسليم بالغيبيات والتجريب فى المحسوسات:-

العلوم منها ما هو مادى يخضع للتجربة والملاحظة ، ويعتمد على الحس وهو المصدر الأول من مصادر المعرفة.

ومنها ما هو فكرى لا يخضع لتجربة وإنما يخضع للعقل وهو المصدر الثانى من مصادر المعرفة.

ومنها ما لا يخضع لحس ولا لعقل كالعقائد والغيبيات ، وهى العلوم التى مصدرها الوحى.

ومن هنا فإن مصادر المعرفة فى الإسلام هى: الحس، والعقل، والوحى، وذلك بخلاف الماديين الذين حصروا مصادر المعرفة فى أمرين: الحس، والعقل.

---

(١) المنطق الإسلامى أصوله ومناهجه. محمد تقى المدرسى ص ٣٢٥

ولما كانت العلوم المادية والعقلية تخضع للحس والعقل ، دعا القرآن الكريم إلى النظر في الآيات الكونية، والإنسانية، والتفكر، والاعتبار.

قال تعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾

سورة الذاريات

وذلك بخلاف العقائد والغيبيات التي لا تخضع لحس ولا لعقل ، وليس في إمكان الباحث أن يدركها بحسه ، أو يتصورها بعقله ، فإن القرآن الكريم دعا إلى الاتباع والتسليم .

قال تعالى:

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾

سورة الأعراف

ونهى عن السؤال والتفكير في كنه الله سبحانه.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾

سورة المائدة

(تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى الله) وفى رواية (... فتهلكوا)[1] ومن هنا كان التسليم والاتباع فى العقائد والغيبيات والتجريب فى المحسوسات مبدأ إسلامى ينبغى الالتزام به كل ميدان علمى.

قال د/ محسن عبدالحميد فى كتابه " تجديد الفكر الإسلامى "

(ولقد أحدث الاكتفاء بصورة العقائد القرآنية فى رجال الصدر الأول انسجاما رائعاً فى حياتهم ، فلم يفكروا بجزيئاتها والحديث عن ماهيتها، لأنه لم تكن قد ظهرت أمور تدفعهم أو تجبرهم للخوض فى تلك الجزيئات، ولذلك فإنهم صرفوا جهودهم إلى المسائل العلمية فأنتجوا فيها فكراً تشريعياً عملياً رائعاً. وحققوا انتصارات إسلامية عظيمة فى الميادين الداخلية والخارجية نقلوا الإسلام إلى العالم فهدوا به أمماً وشعوباً ، ورفعوا راية الحق والعدل والخير والسلام والتوحيد فى بلاد شاسعة)[2]

والعقل الإنسانى عبر التاريخ كلما حمل نفسه من تفصيلات قضايا عالم الغيب أكثر مما يتحمل ضل وتاه وكثر اضطرابه ولم يصل إلى اليقين، والدليل القاطع على ذلك آراء الفلاسفة والمفكرين فى تلك التفصيلات الغيبية منذ أقدم العصور إلى اليوم ، فهى عبارة عن مجموعة من الأفكار المضطربة المتصارعة والمتناقضة فى كثير من الأحيان والتى تحمل قصور ذلك العقل المحدود فى المجال المذكور.

١

---

(١) انظر جمع الجوامع. للسيوطى العدد التاسع من الجزء الثانى من السنن القولية ص ١١٤١ وما بعدها

(٢) تجديد الفكر الإسلامى. د/ محسن عبدالحميد ص ٣١

٥- رد النزاع إلى الكتاب والسنة:

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

سورة النساء

فالآية الكريمة تضع الحصانة المنهجية للعقل المسلم حين يقوم بعملية الاجتهاد المرتبط بالنص أو أية عملية معرفية أخرى ، فالآية تقرر أصلا من أصول الاجتهاد وهو رد النزاع إلى الكتاب والسنة ، فهما خير مرجع يؤمن معهما الوقوع فى الإنحراف.

فالوحى بهذا الإمتياز يكون عاصماً للعقل المسلم من الزلل ، وهو أيضاً الضابط للعقل ليكون سويا ، فالعقل لابد له من ضوابط تحدد سيره وإلا ألغى نفسه ، وهذه الضوابط لابد أن يكون مصدرها أعلى من العقل ، وليس ذلك إلا للوحى الذى هو المدار الذى تتمحور حوله الأفكار والنظريات العلمية والمعرفية.

والأصوليون استطاعوا استنباط القواعد الأصولية انطلاقاً من النصوص سواء القرآنية أم الحديثة ليفهموا بها هذه النصوص ذاتها ، فصار قانوناً للعقل والفكر المسلم.

٦- المنهج فى العلوم الإنسانية غير المنهج فى العلوم التجريبية:-

الإنسان مخلوق عجيب ، فهو مكون من مادة وروح ،

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ
مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

سورة السجدة

وهذا المخلوق العجيب لا يستطيع أحد أن يضع نظام حياة، ولا منهج بحث إلا خالقه سبحانه، فهو أعلم بسره وعلانيته، وبما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد ، ولذا لم يترك الله سبحانه أمر الإنسان للإنسان.

قال د/ سعد الدين صالح:

(وفيما يتعلق بالعلوم الإنسانية يقرر المنهج العلمي الإسلامي أن هذه العلوم ليس لها إلا منهج واحد هو منهج الوحي السماوي الذي كشف حقيقة الإنسان ، وبين قواه ومطالبه ونوازعه ، ووضع له العلاج الملائم)[1]

ومن الأخطاء الفاحشة التي ارتكبها الماديون في البحث العلمي أنهم طبقووا المنهج التجريبي – الخاص بالعلوم الطبيعية – في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مع أن المنهج يختلف باختلاف العلوم.

قال صاحب كتاب " المنطق الإسلامي أصوله ومناهجه ":

(الإنسان يختلف عن الطبيعة المحيطة به ، والمنهاج الذي يدرس حياة الإنسان ينبغي أن يختلف هو الآخر عن مناهج دراسة الطبيعة، فالإنسان مادة حية عاقلة

---

[1] البحث العلمي ومناهجه النظرية " رؤية إسلامية " د/ سعد الدين صالح ص ٣٩

ذات إرادة وتحدى، ولا يخضع للدراسة بسهولة، إذا هناك عوامل عديدة تدخل فى هذه المواقف الاجتماعية والسلوكية، وهذه العوامل تشمل الجوانب الجغرافية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيولوجية وغيرها ، وهذه تتداخل مع بعضها تداخلاً عضويا ديناميكيا بحيث يصبح من العسير فصل أجزاء الموقف عن بعضها والتحكم فيها أو عزلها) [١]

وقال د/ توفيق الطويل فى " أسس الفلسفة ":

(إن طبيعة موضوعات " العلوم والإنسانيات " مختلفة متباينة ، ومن ثمَّ لزم أن تختلف المناهج التى تعالجها كما تختلف القوانين التى تنتهى إليها) [٢]

ويرجع هذا الخطأ إلى أن الماديين نظروا إلى الإنسان بعين واحدة ، وجهلوا حقيقته ، وتكوينه ، ورسالته ، ومصيره ، ومن هنا اعتبروا شئونه كظواهر الطبيعة تبحث بمنهجها ، ويقاس بقانونها ، ويخضع لنظامها.

والأمر الخطير أن مناهج البحث العلمى فى العلوم الإنسانية بتلك النظرة المادية ، والتى لا تخضع لشرع ربانى ، ولا تنطبق مع تعاليم الوحى السماوى، انتشرت فى البلاد الإسلامية ، وبالأخص فى مراحل التعليم المختلفة، وأصبح الإنسان لا يبحث إلا بها ، ولا يعرف إلا من خلالها.

جاء فى كتاب " أخطاء المنهج الغربى الوافد ":

(علينا أن نحذر من اعتبار الظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية ، خاضعة تماماً لنفس قواعد المنهج بغير تقدير لطبيعتها الخاصة (...) ذلك لأن المجتمع ليس علماً محضاً. بل يعيش أيضا بالإنسانيات غير العلمية كالدين والأخلاق) [٣]

---

[١] المنطق الإسلامى أصوله ومناهجه. محمد تقى المدرسى ص ٤٦٣
[٢] أسس الفلسفة. د/ توفيق الطويل ص ١٥٧
[٣] أخطاء المنهج الغربى الوافد. أنور الجندى ص ١٢

ومما ينبغي الالتفات إليه هو أن الذين قاموا بتطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية – علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأخلاق – هم فلاسفة اليهود ماركس ، وفرويد ، ودور كايم ، وليفي بريل ، بهدف استبعاد الدين وسائر الغيبيات من حياة الإنسان.

٧- تحقيق خشية الله تعالى واستظهار الحق فيما خلق وشرع:

إن من أهم ضوابط البحث العلمي تحقيق خشية الله تعالى واستظهار وجه الحق فيما خلق وشرع ، والبحث العلمي مقيد بغاياته التى رسمها القرآن الكريم فى عدد من آياته ومنها

قوله تعالى:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

سورة فاطر

وقوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

١

سورة فصلت

وقوله تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾

سورة العلق

ويتبين من تلك الآيات وغيرها أن غاية البحث تتمثل فى الوصول إلــى تقوى الله وخشيته واستجلاء وجه الحق فيما شرعه حتى يتبعه النــاس فيســتقيم حالهم ، ويسعدون فى دنياهم وأخراهم.

وقد جاءت تلك الآيات بعد أن وجه الله الأنظار إلى وجوب السير فـــى الأرض للنظر فى ملكوت الله وتدبر كيف خلق الله الكون وبدأ صنعه. [1]

قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾

سورة العنكبوت

٨- حماية البحث العلمى من الشطط:

إن النجاحات العلمية المذهلة المتلاحقة التى أحرزهـــا علمـــاء البحــث العلمى خاصة فى مجال الذرة والهندسة الوراثية والجينات والاستنساخ وحـــرب الفيروسات أصابتهم بما أسميه " لوثة " تمجيد العلم وتقديسه وإعلاء شأن نتائجـــه فوق ثوابت الأخلاق والقيم ، ولم يعد يشغلهم إلا أن تستمر مسيرتهم مع معطيـات

---

(١) الآثار الدينية والأخلاقية لبحوث الهندسية الوراثية (نخبة من العلماء)القسم الثانى ص ٥٤

العلم فى كل ميدان وعبر كل طريق غير عابئين باصطدام بحوثهم بكل القيم وبكل المقدسات.

ومن هنا كان ولابد من حماية البحث العلمى من جنوح العلماء. واندفاعهم دون مراعاة لشرائع الله وثوابت الأخلاقيات والقيم.

وترتيباً على الأحكام الفقهية التى تربط بين الغايات والوسائل فى المشروعية ربطا يتلافى الآثار الضارة الناشئة عن أى عمل سلوكى ومجالات البحث العلمى، يجب أن تكون الحماية المشروعة للإبتكارات البحثية مقتصرة على النافع منها، وأما ما يظهر ضرره أو يستبين من المقدمات الدراسية للخوض فيه أنه سيكون ضاراً أو ينطوى على خطر بالمقومات التى فطر الله خلقه عليها ، أو التى تعد لوناً من ألوان العبث فى الكون أو التعدى على مقاصد الأديان الخمسه فإنها لا تكون حرية بالحماية المقررة للحقوق الفكرية.

قال د/ محمود حمدى زقزوق فى كتابه " الإسلام فى عصر العولمة ":

(الإسلام يشجع التقدم العلمى ويحث عليه بكل الوسائل وبلا حدود ، لأن الهدف هو خدمة البشرية وتقديم الخبر للناس من وراء هذه البحوث والدراسات والابتكارات والمخترعات فى شتى المجالات ، فالإسلام قد جاء لمصلحة الإنسان، ومن أجل خيره وسعادته فى دنياه وأخراه ، ولذلك فإنه يدعم بقوة كل ما فيه مصلحة للإنسان ، ويرفض كل ما من شأنه جلب الضرر إليه ، فبحوث الذرة مثلاً أمر مطلوب ، ولكن الإسلام يرفض استخدامها فى تدمير البشرية ، ويشجع على استخدامها فى كل المجالات السلمية ، ويقاس على ذلك كل المنجزات العلمية

والتكنولوجية الأخرى ، فالمعيار فى ذلك كله هو الفائدة الحقيقية التى تعود على الإنسان) [1]

إن روح العلم روح أخلاقى، يضمن الموضوعية والتوازن واجتناب ما يضر ونشدان ما ينفع ، وعليه فلابد من وضع مواثيق دولية تضع العلم فى الإطار الأخلاقى النافع للإنسان ، ولا تجيز له العبث فى المناطق التى يمكن أن يخرج منها الخطر.

٩- اجتناب البحث بغير هدف علمى محدد وعما لا يمكن فهمه:-

البحث العلمى واحد من أوجه النشاط المعقدة التى يمارسها الباحثون باستقصاء منظم فى سبيل زيادة مجموع المعارف العلمية وتقنياتها ، وحتى يثمر البحث العلمى ، ويزداد الإنسان علماً ومعرفة بربه سبحانه ، ودينه ، وكونه ، وخلقه ... على الباحث أن يجتنب فى بحثه أمرين هما: البحث بلا هدف ، والبحث عن المستحيل.

أولا: البحث بلا هدف:-

إن من أهم الأمور فى البحث العلمى أن يحدد الباحث الهدف العلمى من البحث ، والمطلوب من الدراسة ، والمجهول الذى يحاول كشفه ، وذلك لأنه بدون هذا التحديد ، فإنه البحث سوف لا يستمر للأسباب التالية:

١- بدون معرفة هدف محدد للبحث قبل البدء كيف نستطيع أن نجمع المواد المتناسبة مع البحث ؟ فمثلاً: لو لم نعرف أننا نبحث عن حكم الزانى فى الفقه، كيف يمكننا التفتيش عن آية الزنا فى القرآن ؟

---

[1] الإسلام فى عصر العولمة. د/ محمود حمدى زقزوق ص ٧٧

٢- لأن الإنسان لا يفكر عادة إلا إذا وجد حاجة ماسة إلى هذا التفكير ، فإن لا هدفية البحث ، يجعل الإنسان لا يشعر بالحاجة إلى التفكير ، وبالتالى يجعله لا يفكر ، وبالعكس لو كان للبحث هدف فإن النفس تشعر بضرورة كشفه ، وتستغل طاقة التفكير ، فى هذا الهدف حتى تحققه.

٣- والتفكير يشبه الماء ينتشر فى كل اتجاه لو لم يكن ظرف يحتويه، ولذلك فكلما كان أكثر تركيزاً، كلما كان أشد نفعا، والهدف العلمى للبحث يصبح بمثابة ظرف يحتوى شتات التفكير، وإطار يجعله أكثر تركيزاً وأكثر نفعاً.[1]

وإذا كان البحث بلا هدف علمى محدد من الأخطاء التى تضر البحث العلمى ، فإن التحديد له فوائد كثيرة تخدم البحث والدراسة ، منها اختيار المنهج المناسب ، وتحضير الأدوات اللازمة ، والفهم الشامل ، والاعتدال النفسى ... إلخ.

ثانيا: البحث عن المستحيل:

ومن الأمور الخطيرة التى ينبغى أن يجتنبها الباحث حماية له من الخطأ فى البحث ، اجتنابات البحث عن المستحيل وعما لا يفهمه ، وهذا يقتضى أن يكون موضوع البحث فى مستوى عقل الباحث ، فلا يبحث فيما وراء الطبيعة – عالم الغيب – كالبحث عن كنه الخالق وعن أموره الذاتية، ذلك البحث الذى أشغل بال الفلاسفة لفترة طويلة من الوقت ، واستنفد المزيد من الطاقة ، وأوصلهم إلى الضلالة الفكرية والسلوكية ، ولو كانوا يعرفون: أن طبيعة البحث عاصية الفهم لكانوا يولون اهتمامهم إلى أشياء أكثر فائدة لهم وأقل ضررا.

وقد نهى القرآن الكريم عن البحث فيما وراء الطبيعة.

---

(١) المنطق الإسلامى ومنهجه. محمد تقى المدرسى. ص ٢٠٩ – ٢١٠

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١

سورة المائدة

وإذا كان القرآن الكريم نهى عن البحث فى كنه الخالق ... فإنــــه أمــر بالبحث فى كونه وخلقه.

قال تعالى:

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١

سورة يونس

١٠- ضرورة التثبت وعدم الاعتماد على التخمين:-

لقد دأب الناس منذ القدم على نوع من التساهل فى بعض المواقـف إزاء ما يعرفون ، وهذا النوع من التساهل ساعد على الخلط بين كثير من المعــــارف والمعلومات التى لم يتميز فيها الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، وربمـــا كانت هذه العادة المتوغلة هى المسئولة عما نجد فى إنتاج الأوائل مـــن مفكريـــن وفلاسفة من تناقض وتشويش للأفكار وللآراء ، ولفقدانهم هذا الميزان الدقيـــق ، والمعيار المضبوط الذى وصفه الحق تبارك وتعالى من أجل وقاية الإنسان مـــن الزلل والتردى فى الأوهام والضلالات ، ومعنى هذا بصريح العبارة أن القـــرآن الكريم وجه أنظار العرب وسائر المسلمين إلى وضوح الاستدلال ،وسلامة المنهج

، وشرف المقصد ، كما أثار حماسهم، وأيقظ ملكاتهم لتؤتى ثمارها فى كل ميـدان من ميادين المعرفة. [1]

١١- التأنى فى الحكم وعدم الاغترار بالمظهر:-

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نقول: إن من أهم الضوابط للبحث العلمـــى التأنى فى الحكم وعدم الاغترار بالمظهر أو التسرع ، إن القرآن الكريم يعلمنـــا مثلا أن الحكم بخيرية شئ ما أو عمل بناء على دوافع عاجلة ، وحاجات عفويـــة ولو كانت ملحة مثل هذا الحكم كثيراً ما يكون غير سليم لأننا لم نمنـــح عقولنـــا الوقت الكافى، والتقدير، والدرس، والتمحيص، ومن هنا كان

قوله تعالى:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

سورة البقرة

جاء فى كتاب " البحث العلمى مفهومه وأدواته وأساليبه "

(لا يتسرع الباحث العلمى فى إصدار أحكامه ، ولا يدعى معرفة لم يتوصل إليها بالبحث أو لا يمتلك برهاناً واضحاً عليها ، لا يصدر أحكاماً إلا إذا امتلك البرهان والدليل الكافى على ذلك ، كما لا يدعى أنه يعرف الإجابات عن كل الأسئلة ، بل يمتنع ما لم يكن قادراً على إقامة الدليل على ما يقول ، كما لا يكتفـــى بمعرفـــة جزئية أو دليل فردى ، بل يبحث عن أدلة كافية تجعله أكثر وثوقاً فـــى إصـــدار

[1] المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية ٥٢٦ - ٥٢٧

الأحكام ، فالإعتماد على دليل واحد لا يقنع الباحث ، ولذلك يبحث دائماً عن أدلة كافية كما يدرس الأدلة غير المؤيدة قبل أن يصدر قراراته وأحكامه)[1]

١٢- النقد النزيه الموضوعى: -

النقد من الأمور التى يتعرض لها الباحث كثيراً فى بحثه ، خاصة فى مقارنة الأديان... وحتى لا يخرج البحث عن أصوله وآدابه ، ويكون عرضة للأهواء والميول الشخصية ، كان من أهم ضوابط البحث العلمى أن يكون النقد نزيهاً وموضوعياً ، فى إنصاف وسمو فى الخلق.

وفى هذا الصدد يعرض القرآن الكريم آراء المخالفين للإسلام فى أمانة ودقة ، ودون تحامل أو تزايد، ففى عرضه ارأى " الدهرية " مثلاً وهم الذين يدينون بأن الدهر هو صاحب الحول والطول فى حياتهم ولا يدينون لله سبحانه ، نراه يقول:

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ

ويتبع ذلك بقوله الحق:

وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

سورة الجاثية

وقد علمنا القرآن الكريم أن الظن لا يغنى من الحق شيئاً.

ويواصل القرآن الكريم كشفه لعوار هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ويمنحونها أسماء من عند أنفسهم وينسبون إليه سبحانه الإناث وغير ذلك من الأوهام ، يكشف القرآن ذلك كله بقوله سبحانه:

---

[1] البحث العلمى مفهومه وأدواته وأساليبه. د/ ذوقان عبيدات. وآخرون ص ٤٢

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾

سورة النجم

وفى هذه الآية زيادة تعليم فى أن مما يدعم الظن ويؤصله فى النفس هو الهوى الشخصى والأفكار الخاصة، وذلك مما يفسد البحث العلمى.

ومن هنا ينبغى على كل باحث عن الحق أن يجعل نقده موضوعياً.

الفصـــل الـثـانى

المنهج الاستنباطى فى مقام الدعوة إلي الله تعالي

١

المنهج الاستنباطي

تعريفــــه:

أولا: فى اللغــة:

جاء فى مختار الصحاح (نَبَطَ الماءُ: نَبَع ، والاستِنْبَاطُ: الاستِخْرَاجُ) [١]

وجاء فى المعجم الوجيز (نَبَطَ الشئُ: نَبْطاً ونُبُوطاً: ظَهَرَ بعد خفائه ، و-الشــئ نَبْطاً: أظهَرَهُ وأبْرَزَهُ ، استنبط الشئَ: استخرجه مجتهداً فيه ، يقال: استنبط الفقيهُ الحكمَ ، ويقال: استنبط الجوابَ: تلمَّسَهُ من أثناء السؤال) [٢]

لا يخفى على أحد أن كلمة " الاســتنباط " يــدور معناهــا حــول الاســتخراج والاستظهار بعد الخفاء ، وذلك عن طريق الاجتهاد وإعمال العقل.

ثانيا: فى الاصطلاح:-

عرفه د/ عبدالرحمن بدوى بقوله:

هو منهج يبدأ من قضايا مبدأية مسلم بها إلى قضايا أخرى تنتج عنــها بالضرورة دون الإلتجاء إلى التجربة ، ويتم هذا بواســطة القــول، أو بواســطة الحساب.[٣]

وعرفه د/ عبداللطيف محمد العبد بقوله:

المنهج الاستنباطى: وفيه ينتقل الباحث من المقدمات إلى النتائج ، أو يعمم إحـدى القض ايا الجزئية. [٤]

---

(١) مختار الصحاح – الرزاى ص ٦٤٣

(٢) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية ص ٦٠٠

(٣) مناهج البحث العلمى. د/ عبدالرحمن بدوى ص ٨١ – ٨٢

(٤) مناهج البحث العلمي، د/ عبد اللطيف محمد العبد ص ٥٨.

وعرفه فى موضع آخر بقوله:

المنهج الاستنباطى: وهو أساس العلوم الرياضية لما فيه من قيـــاس واســـتنباط ، وفيه يبدأ الباحث من مبدأ ثابت مسلم به ليصل إلى أحكام دون حاجة إلى التجربة. (١)

والاستنباط ينهض على مبدأ أن ما يصدق على الكل إنما يصدق بالضرورة علـى الجزء ، لذا فالإنسان يسعى من خلال الاستنباط إلى إثبات أن الجزء يقع منطقيـاً فى إطار الكل.

والاستنباط توضيح للعلاقة القائمة ... بين صحـــة فكـرة وأخـرى، وبطبيعة الكلمة " الاستنباط " فهى دالة على أن النتيجة كانت موجودة سـلفاً فـى المقدمة وإنما وضحها الاستنباط ، فكما أن الماء لا بد أن يكون موجوداً فى البـئر قبل أن نستنبطه" أى نخرجه " كذلك المعرفة "بالنتيجة ".

ووسيلة الإنسان فى تحقيق الاستنباط هى القياس.

والقياس عند الأصوليين: بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه بإلحاقه بـأمر معلوم حكمه بالنص عليه فى الكتاب أو السنة... للاشـتراك بينـهما فـى علـة الحكم.(٢)

وبمقتضى هذا التعريف يكون القياس مكونا من أربعة أركان هى: (٣)

---

(١) التفكير المنطقى. د/ عبداللطيف محمد العبد ص ١٩٠

(٢) أصول الفقه. أبو زهرة ص ٢٠٤

(٣) أصول الفقه. الإمام أبو زهرة ص ٢١٣

١-**الأصل**: وهو المصدر من النصوص الذى بين الحكم ، وقيل هو موضع هذا المصدر.

٢-**الفرع**: وهو الموضوع الذى لم ينص على حكمه.

٣-**الحكم**: الذى اتجه القياس إلى تعديه من الأصل إلى الفرع.

٤-**العلة** : المشتركة بينهما.

مثاله:

شرب الخمر واقعة ثبت بالنص حكمها وهو التحريم الذى ورد فى **قوله تعالى:**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

سورة المائدة

العلة هى الإسكار ، فكل نبيذ توجد فيه هذه العلة يسوى بالخمر فى حكمه ويحرم شربه.

القياس عند المناطقة: قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر كقولنا: العالم متغير ، وكل متغير حادث ، فإنه قول مركب من قضيتين إذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث. [١]

قال الإمام محمد أبو زهرة:

(وإذا كان القياس فى الفقه الإسلامى هو ما قررنا ... فهو إذن من باب الخضوع لحكم التماثل بين الأمور الذى يوجب التماثل فى أحكامها ، لأن قضية التساوى فى العلة أوجدت التماثل فى الحكم، فهو إذا مشتق من أمر فطرى تقره بدائه

---

[١] التعريفات. الجرجانى ص ١٨١

العقول إذ أساسه ربط ما بين الأشياء بالمماثلة إن توافرت أسبابها ، ووجدت الصفات المتحدة المكونة لها.

وإن الاستدلال العقلى فى كل ما تنتجه براهين المنطق قائم على الربط بين الأمور بالمماثلة الثابتة فيها ليتوافر الشرط فى إنتاج المقدمات لنتائجها ، وإن هذه المماثلة لا تنتج نتائجها المقررة الثابتة إلا بالاعتماد على البديهة المقررة الثابتة ، وهى أن التماثل يوجب التساوى فى الحكم.

والقرآن الكريم يستعمل قانون التساوى فى الأحكام لتشابه الصفات والأفعال.

قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾

سورة محمد

وبين افتراق الأحكام عند عدم التساوى فى قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

سورة الجاثية

وبهذا نرى أن القرآن الكريم يطبق قانون التساوى العقلى أكمل تطبيق ، فيثبت الحكم عند التماثل ، وينفيه عند التخالف. (١)

ضرورة الاستنباط:

الحقائق الفكرية المحضة لا يتوقف إثباتها على الحواس ، بل يكفى فى إثباتها الفكر وحده دون حاجة إلى تأييدها بمشاهدة أو تجربة ، ومن هذه الحقائق ما يسمى بالبدهيات وهى القضايا التى إذا عرضت على العقل السليم كان مجرد عرضها كافياً لإثباتها والتسليم بمقتضياتها.

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتدبر القرآن الكريم لاستنباط الأحكام ، واستخراج دقائق المعانى ، وحقائق الحكمة.

قال تعالى:

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

سورة ص

قال د/ محمود توفيق سعد فى كتابه " سبل الاستنباط من الكتاب والسنة "

(بهذا التدبر يتمكن أولو الألباب من أهل العلم من استنباط ما فيه صلاح الكون والوفاء بحق الله عز وجل ، ثم بحق خلقه ... والاستنباط إنما هو ثمرة من ثمار التدبر الذى هو غاية من غايات إنزال الكتاب الموصوف بأنه مبارك ، وهو وصف ذو دلالة باهرة مباركة فى هذا المساق ، فهو المصدر الدائم الكثير الخير والنفع ، الذى لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد)(٢)

---

(١) أصول الفقه. الإمام أبو زهرة ص ٢٠٤ – ٢٠٥

(٢) سبل الاستنباط من الكتاب والسنة. د/ محمود توفيق سعد ص ١٣

الدعوة والمنهج الاستنباطي:

خلق الله تعالى الإنسان فى أحسن تقويم ، وأنعم عليه بأعظم نعمة فى الوجود وهى نعمة العقل ، والعقل فى الإنسان له رسالة عظيمة ، ومهمة ثقيلة.

قال أبو الحسن الماوردى فى كتابه " أدب الدنيا والدين ":

(اعلم أن لكل فضيلة أساً، ولكل أدب ينبوعاً، وأس الفضائل ، وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلاً ، وللدنيا عماداً ، فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبره بأحكامه ، وألّف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومأربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين: قسماً وجب بالعقل فوكده الشرع ، وقسماً جاز فى العقل فأوجبه الشرع)[1]

والعقل له دور كبير فى الدعوة ، حيث توجد كثير من الحقائق والقضايا ... خاصة فيما يتصل بالعقيدة ، تعتمد على العقل ، وتقوم على المنطق ، والمنهج الاستنباطى هو السبيل إلى إثباتها وإظهارها ، ومن هنا فإن الداعية مطالب باغتنام عقول المدعوين ، واستثمار طاقاتها ، ودفعها إلى البحث والتفكير ، ودعوتها إلى الاستنتاج والاستنباط ، وذلك من خلال التعريفات والمسلمات والمقابلات والبديهيات والمحاورات ... إلخ.

وإذا كنا فى عصر العلم والعولمة ، عصر لم يعد للعمل العشوائى فيه مكان ، فإن على الدعاة إلى الله أن ينهضوا بدعوتهم ، ويقيموها على أسس عقلية صحيحة ، ومبادئ منطقية سليمة ، تواكب العصر ، وتلزم الخصم ، وهذا يقتضى من الدعاة دراسة المنهج الاستنباطى دراسة تعينهم على أداء رسالتهم ، والقيام بواجبهم ، والدفاع عن عقيدتهم.

---

[1] أدب الدنيا والدين. الماوردى ص ٢

والمنهج الاستنباطى القائم على التأمل والتفكير من المناهج الدعوية التى جاءت فى القرآن الكريم، والسنة النبوية، لإثبات وجـــود الله تعـــالى ووحدانيتـــه وقدرته على البعث والإعادة ، وذلك فى مواجهة الملحدين والمشركين وغيرهما.

وقد استعمل الأنبياء والمرسلون عليهم السلام المنهج الاســـتنباطى فـــى الدعوة إلى الله تعالى ، وأثبتوا لخصومهم صدق دعواهم ، وصحـــة رســـالتهم ، وأعجزوا الملأ من أقوامهم عن مجادلاتهم ومحاوراتهم.

أسس المنهج الاستنباطى:-

لهذا المنهج أسسه الجوهرية التى يرتكز عليها ومن أهمها ما يلى:

أولا: التعريفات:

التعريف أو الحد أو القول الشارح ألفاظ مترادفة تدل على معنى واحد ، وهو مـــا يؤدى إلى تحديد الشئ وتوضيح حقيقته وتمييزه عن غيره.

وقد عرفه د/ على سامى النشار بقوله:

إنه ما يستلزم تصوره الشئ بالكنه ، أو تمييزه عما عداه[1] ، وهذا يعنـــى أن التعريف إما أن يكون دالا على ماهية شئ ، وإما أن يكون مميزا له عما عداه فحسب ، ولا ريب فى أن الدال على الماهية مميز أيضا، ولذا فإنه أعلى مرتبة.

والتعريف أنواع ثلاثة هى: الحد بالمعنى الخاص (*) ، والرســـم (**)، والتعريـــف اللفظى (***).

---

(١) المنطق الصورى . د/ على سامى النشار ص٧٩

(*) الحد: هو القول الدال على ماهية الشئ ، وهو من حيث ما يتكون منه نوعان هما:

أ- الحد التام:وهو يتكون من الجنس القريب والفصل كتعريف الإنسان بانه:حيوان ناطق.

ب- الحد الناقص:وهو يتكون من الجنس البعيد والفصل كتعريف الإنسان بأنه:جسم ناطق.

(**) الرسم: هو القول المتعلق بخواص الشئ وأعراضه سواء أكانت عامة أو خاصة وهو نوعان:

البقية ← الخلف ←

ويشترط فى التعريف ما يلى:-

١-أن يكون التعريف المبين للماهية مساويا للمعرف حتى يكون جامعا مانعا.

٢-أن يكون التعريف أوضح من المعرف ، فلا يجوز التعريف بما هو أخفى.

٣-لا يكون فى التعريف لفظ تتوقف معرفته على معرفة المعـرف لئـلا يلـزم "الدور" ويتعذر تحقيق الهدف من التعريف.

٤-أن تستخدم الألفاظ التى يتضمنها التعريف فى معانيها اللغوية الحقيقة.

٥-ألا يؤخذ حكم المعرف فى تعريفه ، فلا يصبح تعريف المبتدأ مثلا بأنه اسـم مرفوع. (١)

ثانيا: البديهيات لله أو الأوليات :-

وهى قضايا شديدة العمومية ، بينة بنفسها وليس من الممكن أن يبرهن عليها. لأن كل نتيجة تستنبط من مقدمات. (٢)

ولما كان من المستحيل الصعود فى سلم الاستنباط إلى ما لا نهاية وجب الوقوف عند بعض القضايا التى لا يمكن البرهنة عليها وهى البديهيات.(٣)

ومن أمثلة البديهيات الكل أكبر من الجزء ، والكل يساوى مجموع أجزائه.

أ- الرسم التام: وهو يتكون من الجنس القريب والخاصة. كتعريف الإنسـان بأنـه: حيـوان ضاحك.

ب- الرسم الناقص: وهو يتكون من الجنس البعيد والخاصة كتعريف الإنسان بأنه: جسـم ضاحك.

(*) وهو تعريف الشئ بواسطة لفظ أوضح منه أو بواسطة لفظ مرادف له أشهر عند المخاطب ، كتعريف البر بأنه: القمح ، والليث بأنه الأسد.

(١) نظريات فى منهج البحث العلمى. د/ عبدالمقصود عبدالغنى ص ٦٤

(٢) تطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى عند علماء عند المسلمين. د/ محمد على محمد الجندى ص ٤٣

(٣) المنطق وفلسفة العلوم. بول موى ص ١١٥

ثالثا: المصادرات أو المسلمات:

وهى أحكام صادقة يفرضها العالم الرياضى ويسلم بها ، وإن لم يقم البرهان عليها ، وذلك لحاجته إلى تلك الأحكام. [١]

أو هى القضايا غير المتناقضة التى تسلم جدلا بصدقها مع عدم وضوحها لكى نستنتج منها ما تحمل من نتائج ، مثل الخطان المتوازيان لا يلتقيان والسطح مستو. [٢]

رابعا: النظريات:-

وهى نتائج لازمة عن المقدمات ، وكل منها معتمد على ما قبله من مقدمات ونظريات. [٣]

خطوات المنهج الاستنباطى

يمر المنهج الاستنباطى بخطوتين هما:

الخطوة الأولى: وضع المقدمات " أى المسلمات والتعريفات ":

تتكون المقدمات التى يبدأ منها المنهج الاستنباطى من عدة أنواع، منها ما يسمى بالتعريفات ، وما يسمى بالمسلمات.

الخطوة الثانية: استنباط النظريات:

بعد أن يضع العالم الرياضى المقدمات التى يراها ضرورية وكافية لنسقه الرياضى سواء أكانت مع التعريفات أم البديهيات أم المصادرات يبدأ في عملية استخراج النتائج التى تلزم عنها، أى أنها المرحلة التى يتم من خلالها

---

[١] المنطق ومناهج البحث. الواثق بالله عبدالمنعم أحمد ص ١٠٠

[٢] مناهج البحث العلمى. د/ عبداللطيف محمد العبد ص ١٩٦

[٣] مناهج البحث العلمى. د/ عبداللطيف محمد العبد ص ١٩٦

استخلاص ما يترتب على القول بالفروض والمقدمات الأولى من نتائج أو نظريات. [١]

ومن ثم يمكن القول بأن صحة المقدمات يؤدى إلى صحة النتائج، وأن فساد المقدمات يؤدى إلى فساد النتائج، وصحة النتائج تأتى لصحة إجراء الاستدلال والالتزام بقواعد البحث المنهجي الدقيق ، وفساد النتيجة إنما ينشأ عن الإنحراف عن قواعد البحث العلمى، وعدم الالتزام بالمنهج المتبع فى عملية التحليل والتركيب والاستنباط.

شروط النسق الاستنباطى:-

إذا قمنا بتحليل النسق الاستنباطى فإننا سوف نلاحظ على الفور أن هذا النسق لا يمكن أن يقام على أى نحو بل لابد له من شروط تحدد صحته، وتبلغ به غايته ، دون أدنى تعطيل أو تكرار أو تناقض أو نقض ، فنحن حينما نختار الحدود غير المعرفة والبديهيات أو القضايا الابتدائية أو الأولية فيجب أن نتوخى فيما اخترناه منها إمكانية تحقيق الغرض أو الأغراض من إقامة النسق الاستنباطى بقضاياه المشتقة جميعا.

وعملية الاستنباط تكون صحيحة إذا كنا نستنبط من الحدود الأولية والبديهيات كل القضايا المشتقة فى نظام تسلسلى محكم ، تعتمد فيه كل قضية لاحقه على ما سبقها ، بحيث لا يختل نظام أو ترتيب أى قضية أو تترك موضعها لكى تحتله قضية أخرى ، وبحيث لا يستند فى البرهنة على أى قضية، إلى بديهيات أو قضايا أو حدود خارجية عن تلك الموجودة فى إطار النسق الاستنباطى.

---

(١) مناهج البحث العلمى. د/ محمد عبدالله الشرقاوى ص ٥٩ - ٦٠

وإذن فاختيارنا ليس حرا تماما بل هو اختيار مشروط ومرتبــط بغايــة أو عــدة غايات.

ومن هذه الشروط:-

أولا: كفاية البديهيات وكفاءتها فى استنباط كل نظريات نسق ما بدون ما زيادة أو نقصان.[١]

ويقصد به أن تكون الحدود غير المعرفة والبديهيات كافية بحيث تسمح لنــا بإجراء كل عمليات الاستنباط فى النسق الموضوعة له ، إلا أن هذا لا يعنى من ناحية أخرى أن تكون هذه الحدود غير المعرفة والبديهيات أكــثر ممــا يجب لأنها لو كانت أكثر مما يجب لأدى الأمر إلى تعدد لا حاجة له، وإلــى تعطيل بعض البديهيات حيث لا يمكن الاستفادة منها فى عمليــة اســتنباط القضايا المشتقة، وهذا كله يعنى أن تكون الحدود الأولية والبديهيات كافيــة للاستنباط بحيث لا تزيد ولا تنقص لأنها لو نقصت لما أمكن إتمام عمليــات الاستنباط، ولو زادت لتعطلت بعض الأصول التى لا حاجة لنا إليها.

فإذا ما تحقق كفاية الحدود غير المعرفة، وكفاية البديهيات، وكفاية وكفـــاءة العمليات الاستنباطية المنطقية استطعنا أن نقول أن شرط الإشباع قد تحقق.

ثانيا: استقلال كل بديهية عن الأخرى لتفادى التكرار وإعاقة الاستنباط.[٢]

ومعناه أن تكون بديهيات نسق ما مستقلة عن بعضها عن بعض بحيــث لا يمكن اشتقاق بديهية من أخرى، وبحيث يجب ألا يكون ثمة تداخـــل بيــن

---

(١) رؤية معاصرة فى علم المناهج. د/ على عبدالمعطى محمد ص ٢٧٣

(٢) المراجع السابق ص ٢٧٣

بديهية وأخرى ، وهذا الشرط هام وأساسى لأنه إذا تداخلت البديهيات الأولى لأدى هذا إلى تداخل وغموض فى القضايا المشتقة.

ثالثا: عدم وقوع التناقض بين بديهية وأخرى لتفادى التناقض بين القضايا المستنبطة عن تلك البديهيات. (1)

من قوانين المنطق التى ينبغى أن يعلمها كل باحث ويسلم بها كل عقل.

قانون عدم التناقض:

ومعناه أن الشئ ونقيضه لا يجتمعان فى شئ واحد فى آن واحد من جهة واحدة، وعرف المسلمون هذا القانون فقالوا " النقيضان لا يجتمعان معا "

قانون الثالث المرفوع:

ومعناه أن الشئ إما أن يكون صوابا وإما أن يكون خطأ ولا يخلو من أحدهما، لأن ارتفاع النقيضين محال، فالثالث بين النقيضين مرفوع أو مطروح أو منفى، وقد عبر المسلمون عن هذا القانون بقولهم " النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان معا "

القرآن الكريم والمنهج الاستنباطى

أولا: القرآن الكريم والدعوة إلى الاستنباط:

كثيرا ما يحدثنا القرآن الكريم عن مجالات الفكر خاتما حديثه بـ " لعلهم يتفكرون " " فاعتبروا يا أولى الأبصار " " لآيات لأولى الألباب " " لآيات لقوم يعقلون " إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تدل دلالة واضحة على مدى احترام القرآن الكريم للعقل وحثه واستنهاض قواه.

(1) المرجع السابق ص ٢٧٢ ،

وبالقدر الذى يدعو به القرآن الكريم إلى إعمال العقل ، واستنباط النتائج، ينفر من التبعية الفكرية ، والتقليد الأعمى ، لما عليه الآباء والأجداد والرؤساء والكبار.

وبنفس هذه القوة ينفر القرآن الكريم من إهمال روافد الفكر ، ويجعل معطلها فى مرتبة الأنعام أو أشد ضلالا.

ودعوة القرآن الكريم إلى الاستنباط بإعمال العقل والتدبر والتأمل ... لا تقتصر على المسلم ، وإنما يدعو المؤمن والكافر معا إلى الاعتبار والتفكير، فدعوته للمسلم ليتلقى قضاياه الإيمانية عن وعى وتبصر، ويحرس عقيدته عن تشويش المشوشين ، وطعن الطاعنين ، ولا يتأتى ذلك إلا باستيعابها عقليا وحراستها عقليا كذلك ، وأما دعوته للكافر فهى لتحصيل الإيمان أصلا عن طريق التعقل والتفحص فيما يستند إليه الإيمان من دعائم عقلية متينة وما يقوم عليه الكفر من مبررات هزيلة.

قال تعالى:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٧١﴾

سورة البقرة

والقرآن الكريم يفتح أمام كل البشرية المجال أمام العقل ليفكر ويفترض ويستنبط.[1]

---

(1) المرجع السابق ص ٢٧٣

قال تعالى:

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

سورة يونس

وقال تعالى:

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

سورة الطارق

قال تعالى:

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

سورة الغاشية

قال الإمام عضد الدين الأيجي في كتابه : المواقف "

(**النظر**: هو ملاحظة العقل ما عنده لتحصل غيره ... أو هو ترتيب أمور معلومة أو مظنونة للتأدي إلى آخر)[١]

وبالرجوع إلى معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ندرك للوهلة الأولى مدى عناية القرآن الكريم بالعلم والعقل والتعقل ودعوته إلى التفكير والاستنباط والتدبر وحثه على التأمل والنظر، وترغيبه في تحصيل المعرفة والمجاهدة في سبيل الوصول إليها.

---

[١] المواقف. للإمام عضد الدين الأيجي ص ١٨٩

فعلى سبيل المثال نجد مشتقات " عقل " تكررت فى القرآن تسعا وأربعين مـــرة مثل " تعقلون " و " عقل " و " يعقل " و " نعقل ".

وهكذا اشتمل القرآن على كثير من الآيات التى تحث العقل على التأمل والنظر ، واستخراج النتائج من المقدمات ، والموازنة والترجيح بيـــن الأشـــياء، وقياس الأشياء والنظائر، واستعمال البراهين اليقينية فى جدال الخصوم.

ومعنى ذلك أن القرآن الكريم يشجع إعمال الفكر بكل وسيلة، ويستحث الناس على استعمال عقولهم ، وتدبر صنعته سبحانه ، وتمييز الحق من البـــاطل لاتباع الأول واجتناب الثانى.

ثانيا: المنهج الاستنباطى فى القرآن الكريم:

وإذا كان المنهج الاستنباطى يعتمد على العقل ، ويقوم على المنطـق، وينبنى على التأمل والنظر ، ويقوم على القياس ، فإن القرآن الكريم جـــاء بكـــل ذلك.

قال د/ محمد كمال جعفر فى كتاب "المؤتمر التاسع لمجمع البحـــوث الإســـلامية بالأزهر":

(وأما المنهج الاستنباطى فصور انبثاقاته كثيرة فى كتاب الله تعالى كثرة تعيـــى الحصر سواء أكان ذلك يتعلق بالقضايا الإلهية الكبرى أم بالنبوة أم بـــالظواهر أم بالناس وسائر الكائنات الحية ، ولكل مقام مجـــال وأســـلوب خـــاص ، فجميـــع الاستدلالات على وجود الله ووحدانيته سبحانه وتعالى استنباطية متدرجة، تتخـــذ كافة الأساليب) [١]

---

[١] المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ٥٤٤

وقال الرازى فى كتابه " النبوات ":

(ويورد القرآن أدلته البرهانية اليقينية مخلوطة بطريقة الخطابة من الترغيب والترهيب، وبسبب ما فيه من طريقة الخطابة يكون تأثيره فى القلوب أكمل، وبسبب ما فيه من قوة المقدمات البرهانية بقى مستعظما فى العقول) [١]

وقال الزركشى فى " البرهان ":

(وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شئ من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به ، لكن أوردة على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين) [٢]

والناظر فى القرآن الكريم يجد أنه يستعمل قانون التساوى العقلى فى الأحكام لتشابه الصفات والأفعال.

قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾

سورة محمد

وينفى القرآن الكريم الحكم عند التخالف وعدم التساوى.

قال تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ



سورة ص

---

(١) النبوات. الرازى. تحقيق د/ أحمد حجازى السقا ص ١٨٤

(٢) البرهان فى علوم القرآن. للإمام الزركش ح٢ ص ١٤ – ٢٥

وفى القرآن الكريم كثير من الصور العقلية التى يمكن أن توضع فى قوالب منطقية.

من ذلك:

١- الأقيسة الإضمارية:

وهى الأقيسة التى تحذف فيها إحدى المقدمات وهى شائعة الاستعمال فى الاستدلال الخطابى

ومن ذلك قوله تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

سورة آل عمران

ألا ترى فى هذا دليلا قويا مبطلا لما يدعون، وفى الوقت نفسه لم تذكر فيه سوى مقدمة واحدة، وهى إثبات مماثلة آدم لعيسى: وطوى ما عداها ، وكأن سياق الدليل هكذا إن آدم خلق من غير أب كعيسى ، فلو كان عيسى أبنا بسبب ذلك لكان آدم أولى، لكن آدم ليس إبنا باعترافكم ، فعيسى ليس إبنا أيضا، وأنت ترى أن حذف هذه المقدمات قد أعطى الكلام طلاوة ، وكسبه رونقا، وجعل الجملة مثلا مأثورا يفيد فى الرد على النصارى وفى الوعظ العام. [١]

---

[١] تاريخ الجدل. الإمام محمد أبو زهرة ص ٦٤ - ٦٥

٢- قياس الخلف:-

وهو الذي يتجه فيه إلى إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، وقد يتجه إليه القرآن الكريم في استدلاله كإثباته سبحانه وتعالى الوحدانية بقوله تعالى

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾

سورة الأنبياء

ففي هذه الآية الكريمة أثبت المطلوب بإبطال نقيضه، وأنت ترى أن حذف بعض المقدمات ... يدل على كثرة الإضمار في دلائل القرآن الكريم.[١]

٣- السبر والتقسيم:-

وهو باب من أبواب الجدل ، يتخذه المجادل حجة لإبطال كلام خصمه، بأن يذكر أقسام الموضوع المجادل فيه، ويبين أنه ليس من خواص واحد منها ما يوجب الدعوى التي يدعيها الخصم. [٢]

(١) تاريخ الجدل. للإمام أبو زهرة ص ٦٦

(٢) وتاريخ الجدل للإمام أبو زهرة ص ٦٧

من ذلك قوله تعالى:

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

سورة الأنعام

قال الإمام السيوطي في كتابه " الإتقان في علوم القرآن ":

(إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد الله تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله تعالى ، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى، فمم جاء به تحريم ما ذكرتم، أي ما علته، لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكور أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدري له علة، وهو التعبدي بأن يأخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى، إما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه، ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله " أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا " فهذه وجوه التحريم، ثم لا تخرج عن واحد منها.

والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما.

الثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما.

والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض فى حالة، وبعض فى حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضى إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل، ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك ، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبى ﷺ ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله تعالى وضلال)[1]

ثالثاً: المنهج الاستنباطى فى مقام تقرير القضايا الإلهية فى القرآن الكريم:

أولاً: المنهج الاستنباطى وإثبات وجود الله تعالي:

ففى مقام الاستدلال على وجود الله تعالى ، قرر القرآن الكريم وجود الله بناء على أسس عقلية ، لا يتأتى إنكارها من عاقل ، لأنها من مبادئه الأولية، ولا يختلف حولها العقلاء ، كمبدأ العلية ، أو السببية ، فإن الصنعة تدل على الصانع ، والبعرة تدل على البعير والدخان يدل على النار.

قال تعالى:-

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

سورة الطور

قال السيوطى فى كتابه " صون المنطق " فى الآية السابقة:

(وقد ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه القضية التى استدل بها فطرية بديهية مستقرة فى النفوس لا يمكن لأحد أن ينكرها فلا يمكن لصحيح

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن. للإمام السيوطى ج٤ ص ٦٢

الفطرة أن يدعى وجود حادث بدون محدث أحدثه ، ولا يملك أن يقول هذا أحدث نفسه)[١]

إن القرآن الكريم يؤكد وجود الله تعالى رغم أنه أوضح من أن يـــبرهن عليه بمبادئ مقررة ، يعترف بها كل إنسان ، عندما يفكر فيها تفكيرا بسيطا.

إنه من البين لكل ذى عقل وبصيرة أن الشئ لا يمكن أن يوجد بدون علة ، فهناك ما يمكن أن نسميه " دليل الخلق " أو " دليل الاختراع " وهو يعتمد علـــى مبدأ العلية وهو مبدأ عقلى.

فالمخلوق لابد له من خالق، والمصنوع لابد له من صانع، والمفعول لابد له من فاعل، وهذه قضايا بدهية جلية واضحة، يشترك فـــى العلـــم بـــها جميـــع العقلاء، وهى أعظم القضايا العقلية ، فمن ارتاب فيها أوشك فى دلالتها فقد برهن على ضلاله، واختلال عقله.

وإذا كانت المخلوقات بأجمعها علويها وسفليها، وهذه الحوادث لابد لـــها من محدث ينتهى إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شـــئ ، المدبر للأمور كلها ، فلا يصح لأحد أن يقول أن هذه المخلوقات وجدت بنفســـها صدفة من غير محدث ولا خالق خلقها، فهذا محال ممتنع تجزم العقول ببطلانـــه ضرورة ، فإن وجود الشئ من غير موجد محال وبـــاطل بالمشـــاهدة والحـــس والفطرة السليمة ، ولا يصح أيضا أن يقول أن هذه المخلوقات هى المحدثة الخالقة لنفسها ، فهذا أيضا محال ممتنع بضرورة العقل ، وكل عاقل يجزم أن الشـــئ لا

---

(١) صون المنطق. السيوطى. تحقيق د/ على سامى النشار ص ٣١٠.

يحدث نفسه ولا يخلقه ، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا، وهذه النتيجة استنبطها العقل من المقدمات العقلية الثابتة.

ثانيا: المنهج الاستنباطى وإثبات وحدانية الله تعالي:-

وفى مقام الاستدلال على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، نرى القرآن الكريم يستصحب العقل ، والمنطق السليم.

قال تعالى:

لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الانبياء

قال الإمام عبدالحليم محمود فى كتابه " التفكير الفلسفى فى الإسلام ":

(هذه المشاهدة العادية ، تلبس صورة منطقية رائعة. فلو كان هناك إله غير الله إذن: لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض) (١)

لو كان فى السموات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات ، لأن تعدد الآلهة يقتضى التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك ، فلو فرض وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئا والآخر لا يريد ذلك ، أو أراد أن يعطى والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه ، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة وذلك:

لأنه يستحيل وجود مرادهما معا ، وهو من أبطل الباطل ، فإنه لو جد مرادهما جميعا للزم اجتماع الضدين وأن يكون الشئ الواحد حيا ميتا ، متحركا ساكنا.

---

(١) التفكير الفلسفى فى الإسلام د/ عبدالحليم محمود ص ٦٨ – ٦٩

وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما ، وذلك يناقض الربوبية. وإذا وجد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول. واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذى يوجد مراده وحده من غير ممانع ولا مدافع ولا منازع ولا مخالف ولا شريك وهو الله الخالق سبحانه.

قال تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾

سورة المؤمنون

لقد أثبتت الآية القرآنية وحدانية الله سبحانه وتعالى من خلال ما يسمى " بقياس الخلف " وهو الذى يتجه فيه إلى إثبات المطلوب بإبطال نقيضه.

قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

سورة الروم

والقرآن الكريم حين يعرض القضية الوحدانية كسمة عقدية عامة بين الأديان السماوية كلها ، فإنه يعرضها بأسلوب الموازنة بين الخالق وغير الخالق ، والقادر وغير القادر ، ونجده يطرح القضية ويدلل عليها ثم يلتمس ما عساه أن

يوجد لدى الخصم من براهين تعارض براهنيه كما يتجلى ذلك فى النسق القرآنى البديع الذى تصوره سورة النحل ، حين يوازن ويقرر ويكرر ويلفت النظر إلى مقتضيات الألوهية وانحصارها فى الواحد الأحد ، ويعقب بطلب برهان المخالف فى القضية إن كان لديه برهان.

ثالثا: المنهج الاستنباطى وإثبات البعث:

وفى مقام الاستدلال على البعث سلك القرآن الكريم فى تقريره طريقة عقلية قياسية بناء على إثبات الخلق الأول، وهى قياس الإعادة على البدء.

من ذلك قوله سبحانه:

وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

سورة الروم

وقوله سبحانه:

وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـًٔا ﴿٦٧﴾

سورة مريم

من هذه الآيات يستنبط القارئ أن الشئ إذا لم يكن ثم كان ثم أعدم فإن إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أفناه.

وقوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾

سورة الأحقاف

من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق الإنسان ، فخلقه لهذه المخلوقات العظيمة وقدرته عليها من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت ، لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك فى قدرته الكاملة على خلق الأيسر الأضعف الأصغر ، وهو أولى بالقدرة والإمكان من الأعظم.[١]

وقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الأنعام

النوم يعتبر موتا مصغرا، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضا، وكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما ، فالموت بعد الحياة كالنوم بعد اليقظة ، والبعث بعد الموت كاليقظة بعد النوم.

١

---

(١) **درء تعارض العقل والنقل. لأبى العباس تقى الدين أحمد بن عبدالحليم ج١ ص ٣٢**

وقوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

سورة يس

القادر على إخراج النار اليابسة المحرقة من الشجر الأخضر الذى هو فى غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما أولى بالقدرة على أن يخرج الإنسان حيا من التراب كما خلقه أول مرة [1]. وهذا دليل عقلى ، وأمر منطقى، يستنبطه كل قارئ للآية الكريمة بعقله وتأمله ، ويستخرجه بفطرته وبصيرته.

ولقد أخذ الكندى من النسق القرآنى الرائع فى أواخر سورة ياسين جملة أدلة وليس دليلا واحدا، وهى:-

١-وجود الشئ من جديد بعد كونه وتحلله السابقين: ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة ، لا سيما أن جمع المتفرق أسهل من إيجاده وإبداعه من عدم ، وإن كان لا يوجد بالنسبة لله شئ هو أسهل وشئ هو أصعب ، هذا الدليل موجود فى الآيات فى كلمة قليلة (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)

٢-ظهور الشئ من نقيضه ، كظهور النار من الشجر الأخضر ، ممكن وواقع تحت الحس. وإذن يمكن أن تدب الحياة فى الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى، وذلك أيضا على أساس المبدأ الأكبر وهو أن الشئ يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق ، هذا الدليل موجود فى آية (الذى جعل لكم من

---

[1] تفسير بن كثير ج٣ ص ٥٨٣

الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) وقد انتفع به الأشعرى فى إثبات إمكان البعث.

٣-خلق الإنسان أو إحياؤه بعد الموت، أيسر من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم).

٤-الخلق ، والفعل مطلقا مهما عظم المخلوق ، لا يحتاج من جانب الله المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان، خلافا لفعل البشر الذى لا يتم إلا فى زمان، ويحتاج إلى مادة تكون موضوع الفعل ، وهذا هو معنى آية (إنما آمرة إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [١]

وهكذا فإن القرآن الكريم – الذى يتهم ظلما بمجافاة الفكر وعمل العقل – لا يكتفى بمجرد عرض عقائده عرضا مرسلا وإنما يدعمها ويحرسها عن التشوين والطعن ، بل ويعلم المسلمين كيف يدافعون عن عقيدتهم من خلال نصوصهم ، وكيف يستدلون عليها.

ومن خلال ذلك تبين لنا أن القرآن الكريم دعا إلى الاستنباط الذى يقوم على التأمل والاستخراج، وجاء بصور استنباطية كثيرة ، يفهمها العقل السليم ، ويتفق معها المنطق الصحيح ، ويذعن لها كل عاقل.

ومن هنا ينبغى على الدعاة إلى الله تعالى أن يحفظوا كتاب ربهم ويفهموه وسيتندوا إليه فى دعوتهم ، ويستقوا منه مبادئ دعوتهم وأدلتهم وصولا إلى تحقيق الغاية التى من أجلها يبذلون الجهود ويواصلون الجهاد.

---

[١] التفكير الفلسفى فى الإسلام. د/ عبدالحليم محمود ص ٧٣ – ٧٤

ومهمة الدعاة إلى الله تعالى أن يعرضوا رسالة القرآن الكريم ، كما عرضها القرآن نفسه ، ليقدموا الدعوة الإسلامية إلى العقل السليم ، ويعيدوا الحق القويم بين الناس كافة.

والقرآن الكريم إقناع للعقل ، وإمتاع للوجدان ، ويحقق مطلب العقل ، ومطلب العاطفة فى تناسق يفوق كل كلام.

وإذا استمد الدعاة من نور القرآن الكريم ، كانوا فى هديهم راشدين ، يحملون الضوء اللامع والبرهان الساطع ، الذى ينير أمام الناس طريق الخير ، ويفتح قلوبهم للحقيقة الدائمة الباقية على مر السنين.

السنة النبوية والمنهج الاستنباطى

إذا كان القرآن الكريم جاء بالقياس والاستنباط ، فإن السنة النبوية قد جاءت بها من ذلك:

١- قال ﷺ: (القاتل لا يرث)[١]

بهذا ورد النص بحكم قتل الوارث مورثه وهو حرمانه من الميراث ، وهذا هو الأصل.

وعلة الحكم: اتخاذ القتل العمد العدوان وسيلة لاستعجال الشئ قبل أوانه ، فيرد عليه قصده السئ ويعاقب بحرمانه ، وقتل الموصى له الموصى، لم يرد النص بحكمه ، ولكن توجد فى هذه الواقعة علة الحكم الموجودة فى الواقعة الأولى: وهى استعجال الشئ قبل أوانه بطرق الإجرام ، فتلحق واقعة قتل الموصى له للموصى بواقعة قتل الوارث مورثه،

---

[١] سنن ابن ماجة ح٢ ص ٨٨٣ ك الديات. باب القاتل لا يرث

لاشتراكهما فى علة الحكم وتسوى بها فى الحكم ، فيحرم الموصى له من الموصى به.[١]

٢- وقال ﷺ: (المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يخطب على خطبة أخيه ، أو يبتاع على بيع أخيه حتى يذر)[٢]

وعلة الحكم: هو ما فى هذا التصرف أو ذاك من اعتداء على حق الغير ، وإيذاء له، وما يترتب على ذلك من عداوة وبغضاء، واستئجار الإنسان على استئجار أخيه واقعة لم يرد النص بحكمها ، فتقاس على الواقعة الأولى، لاشتراكهما فى علة الحكم، وتسوى بها فى هذا الحكم وهو النهى عنه. [٣]

٣-والناظر فى السنة النبوية المطهرة يجد أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل القياس والاستنباط فى دعوة الخلق ، ليقنع المحاور ، ويوقظ الغافل، ويرضى السائل.

فعن أبى أمامه رضى الله عنه أن فتى شابا أتى النبىﷺ : فقال يا رسول ائذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه [٤] ، وقالوا مه [٥] ، فقال أدنه ، فدنا منه قريبا، قال: فجلس.

قال أتحبه لأمك. قال: لا. والله جعلنى فداءك ، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال أتحبه لابنتك. قال: لا. والله جعلنى فداءك ، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم.

---

(١) الوجيز فى أصول الفقه. د/ عبد الكريم زيدان ص ١٩٦

(٢) مسلم بشرح النووى ٩ص١٩٧ ك النكاح. باب تحريم خطبه الرجل على خطبة أخية.

(٣) الوجيز فى أصول الفقه. د/ عبدالكريم زيدان ص ١٩٧

(٤) زجروه: انتهروه.

(٥) مه: اكفف.

قال أتحبه لأختك. قال : لا. والله جعلنى فداءك ، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال أتحبه لعمتك. قال: لا. والله جعلنى فداءك ، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال أتحبه لخالتك. قال: لا. والله جعلنى فداءك ، قال: ولا الناس يحبونه لخالتهم.

فوضع – النبى ﷺ : يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ. (١)

٤- وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رجلا جاء إلى ﷺ : فقال يا رسول الله ... إن أمى ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال: " لو كان على أمك دين أكنت قاضية " ؟ قال: نعم. قال: " فدين الله أحق أن يقضى " (٢).

وعن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ : فقالت: إن أمى نذرت أن تحج ، ولم تحج حتى ماتت ، أفاحج عنها ؟ قال: نعم حجى عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء. (٣)

وهكذا كان ﷺ يخاطب العقل ، ويقيس أمرا على أمر، وحالا على حال، وواقعة على واقعة، ويستنبط المطلوب بسهولة، ويستخرج الحكم والنتيجة بيسر.

ومما نلاحظه أن النبى ﷺ كان يشرك المدعو معه كقوله ﷺ (أتحبه لأمك. قال: لا) وقوله (أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم)

---

(١) المسند. الإمام أحمد بن حنبل ح٥ ص ٢٥٦

(٢) سنن ابن ماجة ح١ ص ٥٥٩ ك الصيام. باب من مات وعليه صيام من نذر

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ح١١ ص ٥٨٣ ك الإيمان والنذر. باب من مات وعليه نذر

وهكذا كان ﷺ يجعل المدعو يسلم له بالمقدمة ثم يقيس ويستنبط ويستخرج المطلوب.

٥-وقد استعمل النبى ﷺ هذا المنهج الاستنباطى العقلى فى مناظرته مع وفد نصارى نجران فى المدينة المنورة بعد صلاة العصر.

قال الإمام الواحدى النيسابورى فى كتابه " أسباب النزول ":

(فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ . فقال لهما رسول الله ﷺ : أسلما. فقالا قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير ، قالا إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا فى عيسى. فقال لهما ﷺ : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه. قالوا بلى.

قال:ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء. قالوا بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه. قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا. قالوا: لا.

قال: فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث. قالوا بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث. قالوا بلى. قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا) [١]

[١] أسباب النزول. للإمام الواحدى النيسابورى ص ٦٧ - ٦٨

المنهج الاستنباطى فى مقام دعوة الأنبياء عليهم السلام:

ذكر القرآن دعوات الأنبياء عليهم السلام ، والناظر فى دعواتـــهم يجـــد أنهم كثيرا ما خاطبوا العقل ، ودعوا إلى التأمل ، وحثوا على التفكر والاســتنباط، وقدموا أدلة عقلية، وبراهين منطقية، تناسب كل العقول وتتسع لها جميع الإفهام.

قال ابن يتميه فى " مختصر نصيحة أهل الإيمان ":

(وليس تعليم الأنبياء عليهم السلام مقصورا على مجرد الخبر كما يظنه كثير، بل هم بينوا من البراهين العقلية التى بها تعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد عند هــؤلاء. يقصد فلاسفة اليونان ومن جرى مجراهم – ألبتة فتعليمهم صلـــوات الله عليـــهم جامع للأدلة العقلية والسمعية) [١]

ويتضح لنا ذلك من خلال الأمور الآتية:

١-**استدلال الأنبياء عليهم السلام بالمعجزة:**

كل نبى أيده الله تعالى بمعجزة استدل بها على صدق دعواه ، والمعجـــزة منها ما هو حسى ، ومنها ما هو عقلى إذا تأمل الإنسان فيها ، استنبط إعجازها ، وعلم صدق من جاء وتحدى بها ، ومن المعجزات العقلية القرآن الكريم.

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه " معجزة القرآن ":

(... ولكن معجزة النبى ﷺ معجزة عقلية باقية خالدة ... يستطيع كل واحـد أن يقول محمد رسول الله ... وهذه معجزته وهى القرآن الكريم) [٢]

---

[١] مختصر نصيحة أهل الإيمان ص ١٤٧

[٢] معجزة القرآن. للإمام محمد متولى الشعراوى ص ٩

إن الأمر الخارق للعادة – وهو المعجزة – من شأنه أن يبعث العقل على التفكير والربط بين توقيت هذا الاختلال المؤقت فى ناموس الكون وبين صدق الداعى المتحدى وتصديق المرسل سبحانه وتعالى.

والقرآن الكريم هو المعجزة العقلية الكبرى ، وهو دعوة إلى إعمال العقل موجهة إلى المخالفين ، والمطالبة بالإتيان بمثله مقتضيا لإعمال العقل واعتصار الذهن والفكر ، وقد باءت كل محاولات معارضته بالفشل.

٢- الاستدلال بالخالق على المخلوق:-

وفى مقام الاستدلال على وجود الله تعالى ، استدل الأنبياء عليهم السلام بالخالق على المخلوق ، والرازق على المرزوق ، وذلك أرقى وأظهر.

قال تعالى حاكيا استدلالهم:

۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

سورة إبراهيم

قال ابن قيم الجوزية فى كتابه " مدارج السالكين ":

(فأما الاستدلال بالصنعة فكثير ، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن ، وهو الذى أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: " أفى الله شك " أى أيشك فى الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده ؟ وأى دليل أصح وأظهر من هذا المدلول ؟ فكيف يستدل

على الأظهر بالأخفى ؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم " فاطر السموات والأرض ") (١)

إن الاستدلال بالخالق على المخلوق، والصانع على المصنوع، والفعال على الفعل، عند العقول الذكية المشرقة، والفطر الصحيحة، والقلوب الطاهرة، أظهر من العكس.

٣- مجاراة الخصوم:-

استبعد الخصوم من كل أمة أن يرسل الله تعالى بشرا رسولا، يدعوهم إلى الحق والخير ، ونبوا على هذه المقدمة نتيجة تتمثل فى عدم قبول الدعوة ، ولم يترك الرسل عليهم السلام الخصوم فى ضلالهم يعمهون ، ولكنهم حاوروهم بالمنطق ، وناظروهم بالدليل ، فسلموا بالمقدمة – وهى أنهم بشر – التى لا تتنافى مع النبوة ، وأنها ضرورة للرسالة ، ونقضوا النتيجة.

قال تعالى حاكيا قولهم:

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

سورة إبراهيم

قال الإمام أبو زهرة فى تاريخ الجدل فى الآية السابقة:

(فترى من ذلك أن الرسل سلموا بالمقدمة التى بنى عليها الأقوام رفضهم ، ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم " ولكن الله يمن على من يشاء " فكأنهم قالوا ما

(١) مدارج السالكين. لابن القيم ح١ ص ٤٨

قلتموه من أننا بشر حق ، ولكن ما تريدون أن تبنوه عليه من إثبات أننـــا لســنا برسل باطل به، لأن الله يمن على من يشاء من عباده ، فلا مانع من أن يمن علينا بالرسالة)[1]

٤- مناظرة الخصوم:-

من أساليب الأنبياء عليهم السلام فى الدعوة إلـى الله تعـالى مجادلـة ومناظرة الخصوم الذين عارضوا الدعوة إلى الخير ، ومن المعلوم أن المنـــاظرة تهدف إلى إقناع الخصم بالحق ، وإلزام المعاند بالحجة، والمناظرة تقـــوم علـى الاستنباط والبحث ، والنظر فى أدلة الخصم.

وقد حكى القرآن الكريم مناظرات الأنبياء عليهم السلام مع خصومهم ، والناظر فى هذه المناظرات يجد الأدلة العقلية الواضحة ، والـــبراهين المنطقيـة الصحيحة ، الأمر الذى دفع الخصوم إلى الاعتراف بالقصور والعجز عن مجاراة الأنبياء عليهم السلام فى الجدل

قال تعالى حاكيا قول الملأ من قوم نوح:

قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾

سورة هود

الخليل عليه السلام والمنهج الاستنباطى:-

كثيرا ما استعمل الخليل عليه السلام المنهج الاستنباطى فى الدعوة إلى الله تعالى، واستند إلى أصوله وقواعده، ودعا إلى إعمال العقل، واستنهاض الفكـــر. من ذلك:

---

(١) تاريخ الجدل. الإمام أبو زهرة ص ٧٣

١ – الاستدلال على حدوث العالم بالتغير والانتقال.

في مناظرته عليه السلام لعبده الكواكب ، أثبت لهم بطلان ما هم عليه بالتغير من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة ، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثا ، وبالتالي لا يستحق عباده ولا طاعة.

قال الباقلاني في كتابه " الأنصاف " :

(... وكذلك الخليل عليه السلام ، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة، لأنه لما رأى الكواكب قال: هذا ربي، إلى آخر الآيات فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت على أنها محدثة مفطورة مخلوقة ، وأن لها خالقا، فقال عند ذلك " إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ") [١]

قال تعالى حاكيا قوله عليه السلام:

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

سورة الأنعام

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في " آداب البحث والمناظرة ":

---

[١] الأنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. للباقلاني البصري ص ٤٤

(فى قوله هذه آفلة وربى ليس بآفل: ينتج من الشكل الثانى هذه ليست بربى، فالصغرى من قوله " فلما أفل " والكبرى من قوله " لا أحب الآفلين " إذ المعنى لا أحب عبادتهم لأن الرب هو الذى يستحق أن يعبد وحده لا يأفل أبدا.

ويمكن سوقه من الشكل الأول وهو أسهل بأن يقال هذه آفلة ، ولا شئ من الآفل بربى ، ينتج هذه ليست بربى.

ويمكن سوقه من الاستثنائى بأن يقال: لو كانت هذه ربى ما أفلت لكنها أفلت ينتج فليست بربى، ويمكن سوقه من الشكل الرابع بأن يقال الآفل ليس بربى وهذه آفلة: ينتج ربى ليس بهذه وينعكس إلى هذه ليست بربى، لكن الشكل الرابع لبعده عن الطبع لا يصار إليه مع تأتى غيره) [١]

لقد ساق الخليل عليه السلام أدلته فى صورة عقلية منطقية حاسمة ، يقبلها السامع ويستجيب لها المنصف ، وهى أدلة لا تقبل المنع أو النقض أو المعارضة... وهكذا ينبغى أن يكون حال من يتصدى لدعوة المعاندين ومجادلة الخصوم.

٢ – الاستدلال بالتعريف:-

فى مقام مناظرته عليه السلام لخصومة من عبدة الأصنام ، استدل الخليل عليه السلام بالتعريف ، فقد أخذ من ماهية القول – موضوع المناظرة وهو الأصنام – دليل الدعوى ، وبين أنها لا تصلح أن تكون معبودا، ولا يستحق عبارة أو طاعة ، وهذا الدليل يقوم على الاستنباط ، ويستند إلى العقل.

١

[١] آداب البحث والمناظرة. الشيخ محمد الأمين الشنقيطى القسم الثانى ص ٩٣

قال تعال حاكيا قوله لأبيه:

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ

لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾

سورة مريم

وقال تعالى حاكيا قوله لأبيه وقومه:

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟

نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾

سورة الشعراء

ولما كان موضوع الدعوة الله جل جلاله بين صفاته دليلا على أنه وحده المستحق للعبادة.

قال تعالى حاكيا قوله:

قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ

﴿٥٦﴾

سورة الأنبياء

وقال تعالى حاكيا قوله:

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ

﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ

يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ

﴿٨٢﴾

سورة الشعراء

الدعاة والمنهج الاستنباطي

لقد دعا المسلمون الأوائل إلى الله تعالى بشـــتى الطــرق والأســاليب، واستخدموا فى دعوتهم مناهج متنوعة، وطرق متعددة ، من ذلك أنهم اســتخدموا المنهج الاستنباطى وأقاموا دعوتهم عليه، واستطاعوا أن يفتحوا بهذا المنهج أعينا عميا، وأذانا صما، وقلوبا غلفا، ويردوا النـــاس إلـــى طريـــق الحــق والنـــور، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، وينصروا الحق ويبطلوا الباطل.

والناظر فى تاريخ الدعوة الإسلامية يجد لعلماء الإسلام مواقـــف دعويـــة التزموا فيها المنهج الاستنباطى ، فأظهروا الحق ، وألزموا الخصـــم، وأفحمـــوا المعاند.

من هذه المواقف:-

١- أبو حنيفة رضى الله عنه مع الملحدين:-

يذكر أنه اجتمع طائفة من الملاحدة بأبى حنيفة – رحمه الله – فقـــالوا: مـــا الدلالة على وجود الصانع ؟ فقال: دعونى، فخاطرى مشغول بأمر غريـــب. قالوا ما هو ؟ قـــال: بلغنى أن فى دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصنـــاف الأمتعة العجيبة ، وهى ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها ، فقالوا له: أمجنون أنت ؟ قـــال: وما ذاك . قالوا: إن هذا لا يصدقه عـــاقل ، فقال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصنـــاف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوار يجرى ، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك ؟ فرجعوا على أنفسهم بـــالملام وتابوا. (١)

---

(١) التفسير الكبير ح٢ ص ٩٩ ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ح٣ ص ١٢٧

٢ - الإمام جعفر الصادق مع الزنادقة:-

يروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق رضى الله عنه ، فقال له جعفر: هل ركبت البحر ؟ قال: نعم، قال: هل رأيت أهواله ؟ قال: بلى. هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن، وغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عنى ذلك اللوح، فإذا أنا مرفوع فى تلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل. فقال جعفر: قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح، ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أو كنت ترجو السلامة بعد ؟

قال: بلى، رجوت السلامة ، قال: ممن كنت ترجوها ، فسكت الرجل ، فقال جعفر: إن الصانع هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت ، وهو الذى أنجاك من الغرق ، فأسلم الرجل على يده. (١)

٣- الإمام الشافعى رضى الله عنه:-

قال الإمام المطلبى رضى الله عنه: استقبلنى سبعة عشر زنديقا فى طريق غزة، فقالوا: ما الدليل على الصانع ؟ فقلت لهم: إن ذكرت دليلا شافيا، هل تؤمنون ؟ قالوا: نعم.

قلت: نرى ورق الفرصاد (التوت) طبعها ولونها وريحها سواء، فيأكلها النحل فيخرج من جوفها العسل ، وتأكلها الشاة فيخرج من جوفها البعر، فالطبع واحد إن كان موجبا عندك ، فيجب أن يوجب شيئا واحدا ، لأن الحقيقة الواحدة لا توجب إلا شيئا، ولا توجب متضادات متنافرات ، ومن جوز هذا كان عن المنقول خارجا ، وفى التيه والجا، فانظر كيف تغيرت الحالات عليها، فعرفت أنه فعل صانع عالم قادر: فبهتوا ، ثم قالوا: لقد أتيت بالعجب العجاب ، فآمنوا وحسن إيمانهم.(٢)

---

(١) التفسير الكبير ح٢ ص ٩٨ - ٩٩

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم للقزوينى ص ٢٥ - ٢٦

الفصل الثالث

المنهج الاستقرائى فى مقام الدعوة إلي اللّه تعالي

المنهج الاستقرائي

تعريف الاستقراء:

أولا: في اللغـــة:

جاء في المعجم الوجيز (" قَرَا " فلاناً – قَرْوا: تتبعَّه ونظر أعماله ، يقال: قَـــرَا البلادَ: تتبعَّها أرْضاً وسار فيه ينظر حالها وأمْرَها ... " تَقَرَّى " الأمْرَ: تتبعَّـــه، استَقْرى الشئَ: تتبَّع جزئياته، ويقال: استقْرَى بنى فلان: مَرَّ بهم واحداً، واحـــداً " الاستقراء " تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية) .

من خلال ذلك يتضح لنا أن كلمة " استقراء " يدور معناها حول التتبع والنظر في الشئ بتتبع جزئياته وحاله وأمره للوصول إلى نتيجة كلية. [١]

ثانيا: اصطلاحاً:

عرفه د/ عبدالرحمن بدوى بقوله:

وهو منهج يبدأ فيه من جزئيات أو مبادئ غير يقينية إلى قضايا عامة وبالاستعانة بالملاحظة والتجربة لضمان صحة الاستنتاج. [٢]

وعرفه مؤلفا كتاب " مناهج البحث العلمى " بقولهما:

الاستقراء هو كل استدلال يسير من الخاص إلى العام ، وبـــهذا يشـــمل الدليل الاستقرائى الإستنتاج العلمى القائم على أساس الملاحظة والاستنتاج العلمى القائم على أساس التجربة بالمفهوم الحديث للملاحظة والتجربة. [٣]

وعرفه صاحب كتاب " المنطق الحديث ومناهج البحث " بقوله:

هو استدلال يبدأ بعدد معين من القضايا الجزئية لينتهى إلى قضية كلية. [٤]

---

(١) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ص ٥٠٠

(٢) المعجم البحث العلمى. د/ عبدالرحمن بدوى ص ١٨

(٣) مناهج البحث العلمى أسس وأساليب. د/ عمار بوحوش د/ محمد محمود الذنبيات ص١٣٤

(٤) المنطق الحديث ومناهج البحث . بدوي ص ٢٧٠ .

وعرفة د/ عبداللطيف محمد العبد بقوله:

إذا كان القياس انتقالاً من العام إلى الخاص، أو من المبادئ إلى النتائج، فإن الاستقراء انتقال من الخاص إلى العام، أو من النتائج إلى المبادئ، أو من الظواهر إلى قوانينها.(٩)

من خلال ذلك يتضح لنا أن الاستقراء أساس المفهومات العامة والقضايا الكلية ، وأنه مبنى كله على الحس: إنه استقراء محسات ، إنه تتبع جزئيات لا تخرج عن مظان الواقع ، ويسمى منهج الاستقراء بالمنهج التجريبى، لأنه يستند فى تحليلاته إلى الملاحظة والتجربة وافتراض الفروض، وهو منهج يعتمد على مجموعة من الفروض التى يضعها الباحث ويستنبط منها النتائج التى يجب التحقق منها ومن صدقها بالملاحظة والتجربة ، ولذا يجب أن تكون هذه النتائج مطابقة للواقع ، وهدف المنهج الاستقرائى أن يوصلنا إلى كشف القوانين فالنتيجة الاستقرائية هى صيغة القانون العلمى.

ضرورة الاستقراء:-

هناك نوع من القضايا العلمية اليقينية يكون الفكر فيها وسيلة فقط ، وهى مفتقرة فى إثباتها إلى أن تستند إلى الحس أو التجربة، وهى الحقائق الفكرية المستندة إلى الحواس أو التجربة، مثل المعادن تتمدد بالحرارة، والماء مركب من الهيدروجين والأوكسجين.

ومن المؤكد أن العقل وحدة هو الذى يفسر التجربة والمحسوس ويستخرج منهما المعنى الذهنى، وهما ليسا بشئ بدون العقل، فالإحساس بدونه

(٩) التفكير المنطقى د/ عبداللطيف محمد العبد ص ١١٨ - ١٩٠

أمي، والتجربة بدونه خرساء، واستخراج المعنى وتحقيقه إنما يكون بفضل العقل وحده.

قال د/ محمد على الجندى فى كتابه " تطبيق المنهج الرياضى " .

(يمثل منهج الاستقراء فى المقابل ، منهج البحث فى العلوم الطبيعية، وهى تلك الدراسات النظرية التى تهدف إلى معرفة مختلف الظواهر التى يحتوى عليها الكون) [1]

وتطلق العلوم الطبيعية على كل دراسة تتناول الظواهر الجزئية [2] بمناهج الملاحظة والتجربة (الاستقراء) وتقصد إلى وضع قوانين تفسر هذه الظواهر المطردة وتلخص تفسيرها فى رموز رياضية.

قال د/ محمد عمارة فى كتابة (الغزو الفكرى):

(فكل العلوم التى موضوعها الطبيعة وظواهرها والمادة وخصائصها ، هى من قبيل الفكر الذى هو مشترك إنسانى عام ، وذلك لأن مناهجها تتميز بالحياد العلمى، ولأن التجربة الملموسة بالحواس المادية هى السبيل لاكتشاف حقائق هذه العلوم، تلك الحقائق التى هى بنت الدليل، والتى لا تختلف باختلاف مذاهب وعقائد وأجناس وفلسفات المكتشفين، ومن ثم فهى لا تتغاير بتغاير القوميات والحضارات بل هى واحدة على المستوى الإنسانى ، كما أن موضوعاتها –

١

---

(1) تطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى عند علماء المسلمين. د/ محمد على الجندى ص ٦٥ – ٧٥

(2) الجزئيات التى تتناولها العلوم الطبيعة التجريبية إما أن تكون جامدة كما هو الحال فى موضوعات علم الطبيعة والكيمياء والفلك ونحوه ، وإما أن تكون كائنات حية كما هو الحال فى موضوعات علم الطلب أو علم وظائف الأعضاء.

المادة وظواهرها – واحدة هي الأخرى، لا تختلف ولا تتغاير باختلاف وتغاير الحضارات) [١]

الدعوة والمنهج الاستقرائي:–

خلق الله تعالى الإنسان وجعل له حواساً .

قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾

سورة البلد

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

سورة المؤمنون

ودعا القرآن الإنسان إلى استخدامها بالنظر في الآيات الكونية والإنسانية، وأمره بالسير في الأرض والنظر فيها والتأمل في أحوالها، وحذّره من تعطيلها وإغفالها.

والدعاة إلى الله تعالى ينبغي أن ينهجوا نهج القرآن الكريم، وذلك بلفت أنظار المدعوين إلى ما فوقهم وتحتهم وحولهم، واستقراء الوجود، والتأمل في أطوار الخلق ، والاعتبار بالموجودات، والاتعاظ بالتقلبات والتغيرات ، ثم

---

[١] الغزو الفكري. د/ محمد عمارة ص ١٧

الاستدلال بهذه الآيات على وجود موجدها، ووحدانية مدبرها، وقدرته على البعث والإعادة وجمع الناس ليوم لا ريب فيه.

والحواس –وهى أدوات المنهج الاستقرائى – لها دور كبير فى الدعـوة، فالله تعالى جعل هذا الكون وما فيه من آيات متنوعة، ودلائل متعددة، دليلاً علـى وجوده، وبرهاناً على وحدانيته، وآية على قدرته على البعث والإعـادة، وهـذا الكون وما فيه من آيات مشاهدة لا يدرك إلا بالمنهج الاستقرائى.

وإذا كنا فى عصر العلم والتكنولوجيا... فإن على الدعاة إلى الله تعـالى أن يربطوا بين التقدم العلمى التجريبى وبين ما جاء فى القرآن الكريـم والسـنة النبوية، ودعوتهما إلى استقراء الكون، وملاحظة أحواله وتغيراته، والاسـتدلال بذلك على وجود الله تعالى، ووحدانيته، وقدرته على البعث والإعادة.

والمنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة، والنظر فى الآيـات المخلوقة، والتأمل فيها، من المناهج الدعوية التى جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية لدعوة الخلق إلى الحق والخير.

وقد استعمل الأنبياء والمرسلون عليهم السلام المنهج الاسـتقرائى فـى الدعوة وذلك بلفت أنظار أقوامهم إلى الآيات المحسوسة والملموسة والاستدلال بها على وحدانية الله تعالى.

مراحل[1] المنهج الاستقرائى:

تتحدد مراحل المنهج الاستقرائى فيما يلى:

[1] جاء المعجم الوجيز ص ٢٥٩ (" المرحلة " المسافة يقطعها السائر ما بين المنزلين)

١- **مرحلة البحث:** وفى هذه المرحلة يستخدم الباحث الملاحظة أو التجربة كى يقف على ما بين الأشياء من أوجه شبه أو خلاف.

٢- **مرحلة الكشف أو الاختراع:** وفيها يستطيع الباحث أن يتخيل علاقة بين الظواهر التى لاحظها ، أو أجرى التجارب عليها ، وأن يضع فرضاً لتفسيرها.

٣- **مرحلة التحقق والبرهان:** وفيها يحاول الباحث التحقق من صدق الفرض الذى وضعه فى المرحلة السابقة ، فإذا تحقق من صدقه أصبح قانوناً علمياً.(١)

ففى المرحلة الأولى – مرحلة البحث – يقوم الباحث بالملاحظة والتجربة.

والملاحظة هى المشاهدة الدقيقة للظاهرة موضوع البحث ، مع الإستعانة بأساليب البحث والدراسة التى تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة ، وتسجيل حالتها.

والملاحظة قد تكون عابرة أو بسيطة وهى التى يقوم بها الرجل العادى ولا يبغى من وراءها كشفاً علمياً، وقد تؤدى إلى بعض الاكتشافات العلمية ، فقد اكتشف نيوتن قانون الجاذبية بملاحظته العابرة سقوط تفاحه من الشجرة، وقد تكون الملاحظة علمية وهى التى يتوافر فيها قدر كبير من الدقة ، ويكون الهدف منها الكشف عما هو جديد فى الظاهرة.

---

(١) مناهج البحث العلمى. د/ عبداللطيف محمد العبد ص ٣٨ ، والتفكير المنطقى له أيضا ص ١١٧ ، ومناهج البحث العلمى أسس وأساليب. د/ عمار بوحوش ، ود/ محمد محمود الذنيبات ص ١٠٩ ومناهج البحث العلمى. د/ محمد عبدالله الشرقاوى ص ٤١ ، والمنطق الإسلامى – المدرسى – ص ٣٦٨ ، أسس الفلسفة. د/ توفيق الطويل ص ١٥٨ ، علم المناهج. د/ على عبدالمعطى ص ٦٥

والملاحظة العلمية متنوعة:

فهناك ملاحظة مسلحة: وهى التى يستعين فيها الباحث أو الملاحظ بآلات وأدوات تزيد من قدرته لملاحظة الظاهرة ملاحظة دقيقة.

وهناك ملاحظة ذات الطابع الكيفى: وهى التى تستخدم فى العلوم التى تعمل على تصنيف الأشياء إلى أجناس وأنواع وفصائل مثل علم الحيوان والنبات ، بهدف تحديد الصفات المميزة لكل واحد منها.

وهناك ملاحظة ذات الطابع الكمى: وهى التى تستخدم فى علوم الفيزياء والكيمياء ، مثل معرفة الباحث أن الماء يتكون من الأوكسجين والأيدروجين ، وأن الأول أحادى والثانى ثنائى.

وقد وضع العلماء شروطا للملاحظة العلمية منها:

١-الخضوع التام للواقع أى " ملاحظة الظاهرة فى ظروف تستبعد كل احتمال ، وتقضى على كل مظنة للشك " [١]

٢-كذلك تتطلب الملاحظة العلمية صبرا لا ينفذ ، وعدم التسرع فى إصدار الأحكام على الظواهر. [٢]

٣-الموضوعية وعدم التدخل بأى آراء شخصية ، فالملاحظة العلمية تتطلب نزاهة كاملة ، وإنكارا للذات. [٣]

١

---

[١] المنطق وفلسفة العلوم. بول موى ص ٥٣ .

[٢] المنطق ومناهج البحث. الواثق بالله عبدالمنعم أحمد ص ١٣٣ ، المنطق وفلسفة العلوم بول موى ص ٥٣

[٣] المنطق وفلسفة العلوم. بول موى ص ٥٦ ، وتطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى. الجندى ص ٦٠

٤-يجب أن تكون الظاهرة – موضوع البحث – قابلة للتكرار، فالظاهرة التي تحدث مرة واحدة دون أن تتكرر لا يمكن أن تكون موضوع ملاحظة دقيقة، لأن تكرار الظاهرة يمكن الباحث من أن يلاحظ كل مرة ما فاته من ملاحظات.

٥-يجب ملاحظة الظاهرة من جميع جوانبها لأن إغفال أي جانب قد يؤدي إلى خطأ في تفسير الظاهرة.

٦-ينبغي أن يتصف الباحث العلمي – بصفات الباحث– وأن يكون مستعداً للملاحظة مهيئاً لها، ولا يؤخذ على غرة.

أما التجربة فقد عرفها د/ محمود زيدان بقوله:

(ملاحظة ظاهرة أو مجموعة من الظواهر ملاحظة مقصودة، تتضمن تغيير بعض الظروف الطبيعية التي تحدث فيها تلك الظاهرة رغبة في الوصول إلى صفاتها أو خصائصها، التي لا يكون في مستطاعنا الوصول إليها بمجرد الملاحظة دون تعديل في ظروفها الطبيعية) (١)

وتسمى التجربة " ملاحظة مثارة "

لكننا يمكن أن نؤكد أهمية التجربة على الملاحظة، وذلك لأن التجربة توفر العنصر الزمني للباحث العلمي، وتتميز من حيث الدرجة على الملاحظة في كونها تهدف إلى التحكم في العوامل التي تؤثر في الظاهرة، فيستطيع الباحث التحكم مثلاً في الضغط ودرجة الحرارة.

(١) الاستقراء والمنهج العلمي. د/ محمود زيدان ص ٤٥

ويشترط في التجربة ما يلى:

١-ينبغى عند التجربة العناية بكل صغيرة وكبيرة تكشف عنها التجربة ، ولا يكتفى فقط بالنقاط الجوهرية.

٢-يجب على القائم بالتجربة أن يتفهم الطرق الفنية التى يستخدمها تفهماً صحيحاً، وأن يدرك حدودها ولا يتعداها.

٣-يجب على الباحث أن يكون على حذر دائماً من نتائج التجربة ، فلا يرفض الفرض لمجرد أن التجربة لم تستطيع إثبات صحته ، ولا يغيب عنه أن التجريب مثله فى ذلك مثل وسائل البحث الأخرى ليس معصوماً من الخطأ، أو عدم القدرة على إثبات فرض بالطرق التجريبية ليلاً دليلاً كافياً على خطأ هذا الفرض. [١]

وفى المرحلة الثانية – مرحلة الكشف أو الاختراع – يقوم الباحث بوضع الفروض العلمية.

جاء فى المعجم الوجيز (الْفَرْضُ: فكرة يُؤخذ بها فى البرهنة على قضية أو حل مسألة) [٢]

وقد عرف علماء مناهج البحث العلمى الفروض العلمية بقولهم:

(أنها التكهنات التى يضعها الباحثون لمعرفة الصلات بين الأسباب ومسبباتها)[٣] .

ومن أمثلة الفرض العلمى: ما حدث للعالم الشهير أرشميدس ، فقد توصل إلى أن كل جسم مغمور فى الماء يشغل حيزاً من الفراغ بمقدار حجمه لا وزنه.

---

(١) المنطق للصف الثالث الثانوى ص ١٣٧ – ١٣٨

(٢) المعجم الوجيز ص ٤٦٧

(٣) المنطق الحديث د/ محمود قاسم ص ١٣١ ، وأسس الفلسفة د/ توفيق الطويل ص ١٦٤، والاستقراء والمنهج التجريبى د/ محمود زيدان ص ٤٨

ويشترط فى الفرض العلمى ما يلى:

١-أن يكون قضية قابلة للبرهنة ، أى يصلح أن يكــون موضوعــا للملاحظــة والتجربة.

٢-أن يفسر الوقائع بأشياء تدخل فى نطاق المعرفة التجريبية، لا بأشياء خرافيــة أو خارقة للطبيعة.

٣-ويقتضى هذا ألا يتعارض مع الواقع أو مع الحقائق العلمية المسلم بها.

٤-أن يكون قابلا للتطبيق على ما بين أيدينا من ظواهر ، وعلى ما سيظهر منها مستقبلا. [١]

وفى المرحلة الثالثة – مرحلة التحقيق والبرهان – يقوم الباحث ويتجه إلى تحقيق الفرض ، وذلك ليتأكد من صحة ما افترضه أو تكهن به.

ولهذه المرحلة طريقان طرق مباشر ، وطرق غير مباشر.

الطريق المباشر[٢] يتمكن فيه الباحث من إخضاع الظاهرة للتجربة والتمكن مــن ملاحظتها.

---

[١] الاستقراء والمنهج التجريبى د/ محمود زيدان ص ٥٠ ، المنطق ومناهج البحث. الواثق بالله عبدالمنعم أحمد ص ١٣٥ ، المرشد السليم. د/ عوض حجازى ص ٢٠٠ ، وتطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى. الجندى ص ٦٢

[٢] وقد وضع العلامة الفيلسوف الإنجليزى (جون ستيورات مل) لهذا النوع من الاستدلال طرقا خاصة ليثبت بها أو بواحد منها الفرض العلمى ، ويستدل بها عليه ، وهذه الطرق الخاصة تسمى قواعد الاستقراء أو قوانينه ، ونجملها فيما يلى:-
١-طريقة الإتفاق أو طريقة التلازم فى الوقوع. انظر مسائل فلسفية د/ توفيق الطويل ص ١٠٥
٢-طريقة الإختلاف أو طريقة التلازم فى الخلف. انظر المنطق الحديث ومناهج البحث د/ محمود قاسم ص ١٦٣
٣-طريقة الجمع بين الإتفاق والإختلاف. انظر مسائل فلسفية د/ توفيق الطويل ص ١١٣
٤-طريقة التغير النسبى. انظر المنطق الحديث د/ محمود قاسم ص ١٧٠

والطريق غير المباشر لا يتمكن فيه الباحث من إخضاع الظاهرة للتجربة ، وفى هذه الحالة على الباحث أن يستخدم لإثبات صحة الفرض الطريقة القياسية.

أنواع الاستقراء:

ينقسم الإستقراء إلى نوعين رئيسيين هما:

الاستقراء التام: يعنى ملاحظة جميع مفردات الظاهرة موضوع البحث ، أى حصر جميع الحالات الجزئية التى تقع فى إطار ظاهرة ، أو فئة معينة. (١)

وهو استقراء يقينى ، لأنه يقوم على استقراء لكل جزئيات موضوع البحث سواء أكانت هذه أجناسا، أو أنواعا، أو أفرادا، وبعبارة أخرى هو انتقال الفكر من الحكم الجزئى على كل فرد من أفراد مجموعة معينة إلى حكم كلى يتناول كل أفراد هذه المجموعة. (٢)

ومن ثم يكون حكمنا على الكلى هو نفس الحكم الذى أصدرناه على كل فرد من الأفراد.

ويكثر استخدام هذا النوع من الاستقراء فى العلوم التى تعتمد على الإحصاء وتحديد الأجناس والأنواع والفصائل كما هو الحال فى علم النبات والحيوان.

١

٥-طريقة البواقى. انظر المرشد السليم د/ عوض الله حجازى ص ٢١٨

(١) مناهج البحث. د/ غازى حسين عناية ص ٨٢

(٢) مناهج البحث العلمى أسس وأساليب. د/ عمار بوحوش ، د/ محمد محمود الذنيبات ص١٣٦

ولا يمكن القيام بهذا النوع من الاستقراء إلا إذا كان عدد أفراد الظاهرة محدودا مثل طلاب مدرسة ، ولكن حينما يكون عدد الأفراد غير متناه ولا يمكن حصره مثل جزئيات الطبيعة يصبح هذا النوع من الاستقراء عديم الفائدة.

الاستقراء الناقص: فيقصد به الاكتفاء بدراسة عينة، أو بعض نماذج بهدف الكشف عن القوانين التي تخضع لها جميع الحالات المتشابهة، والتي لم تدخل تحت الدراسة ، وتعتمد دقة نتائج الاستقراء الناقص على مدى تمثيل العينة المختارة للدراسة تمثيلا صحيحا لمجتمع البحث، وهذا غالبا ما يخضع لقواعد إحصائية. [١]

وهو استقراء غير يقيني لأنه يقوم على تفحص بعض الجزئيات فقط، **ومعناه انتقال الأمر من الحكم على بعض الجزئيات إلى حكم يتناول كل النوع والجنس الذي يشتمل على هذه الجزئيات ، وبعبارة أخرى هو الانتقال من معرفة جزئية إلى معرفة كلية.** [٢]

وهذا النوع من الاستقراء مفيد من الناحية العلمية والعملية ، ويتم الانتقال فيه من الملاحظات والتجارب إلى القانون العام بفضل عملية عقلية هي التعميم ، وهي في الواقع روح المنهج التجريبي ، وقد وصف بأنه استقراء ناقص، لأن التتبع فيه للجزئيات لم يشمل إلا بعضها فقط.

ويستعمل هذا النوع من الاستقراء في المعامل الطبية لمعرفة الأدوية النافعة والأدوية الضارة.

ويتنوع الاستقراء الناقص إلى فطري وعملي.

---

[١] مناهج البحث. د/ غازي عناية ص ٨٢

[٢] مناهج البحث العلمي د/ عمار بوحوش. د/ الذنيبات ص ١٣٦

الفطري: وهو استقرا مبنى على الملاحظة العابرة والتعميم السريع ... غير أن هذا النوع يؤدى إلى نتائج مشكوك في صحتها... مثل تكوين فكرة سريعة عن خلق شخص ما اعتمادا على ملاحظة بعض أقواله أو أفعاله في ظروف غير عادية.

أما الاستقراء العلمي: فهو امتداد للفطرى ، ويبدأ بالملاحظة أو التجربة ، ثم التعميم ، إلى قضية عامة للتأكد من صدقها ، ويعتمد الاستقراء العلمى على أسس واضحة من الملاحظة والتجربة وبعض الأدوات والآلات ، ويهدف إلى الكشف عن القوانين العلمية. [1]

وظيفة الاستقراء:

يأتى المنهج الاستقرائى بالعلوم الجديدة ، والمعارف الحديثة ، والناظر إلى المرحلة الثانية من مراحل الاستقراء يجدها تكشف لنا عن وظيفة الاستقراء وأهميته.

قال د/ عبدالمقصود عبدالغنى في كتابه " نظريات فى مناهج البحث العلمى "

(إن الاستقراء يحاول فهم الطبيعة والكشف عن أسرارها ، وهذا الفهم يتحقق بربط الظواهر بعضها ببعض ، بمعنى أن نتبين أن تلك الظواهر – التى تقترن فى الوجود أو التى يتغير بعضها تبعا لبعض، أو التى يتبع بعضها بعضا – تخضع جميعا لعلاقات مطردة أو قوانين.

وإذا أمكن معرفة القوانين أو العلاقات التى تخضع لها الظواهر أمكن التكهن أو التنبؤ بعودتها متى تحققت الشروط التى أدت إلى وجودها فى ظروف

---

(1) مناهج العلمى. د/ عبداللطيف العبد ص ٤٣ ، والتفكير المنطقى للعبد أيضا ص ١٢٠

مماثلة. ولا ريب أن عملية اكتشاف القوانين لها أهمية كبيرة ، لأنها تساعدنا على تنظيم علومنا ، وتيسير تعليمنا) [1]

وبذلك انحصرت وظيفة الاستقراء فى محاولة فهم الطبيعة ، بواسطة ربط الظواهر وشرح ما يربط بينها من علاقات مطردة أو قوانين ، وهى التى تتيح للباحث التنبؤ ، وهذا التنبؤ يعنى إمكان المعرفة دون معاودة الملاحظة والتجربة.

القرآن الكريم والمنهج الاستقرائى

أولا: القرآن الكريم والدعوة إلى الاستقراء:

يبدأ القرآن الكريم الحديث عن الاستقراء والدعوة إليه بالحديث عن أدواته وهى:

١ـ السمع والبصر:

قال تعالى:

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

سورة النحل

وقال تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

سورة المؤمنون

[1] نظريات فى مناهج البحث العلمى د/ عبدالمقصود عبدالغنى ص ٢٤٠

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

سورة السجدة

وقال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

سور الملك

قال د/ عبدالحليم محمود في كتابة " الإسلام والعقل "

(فالسمع والبصر هما أساس العلم المادى: علم التجربة والملاحظة ، أما القلب فإنه أساس العلم الإلهامى ، إن الله سبحانه وتعالى يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة) [1]

٢ـ حاسة الذوق:

قال تعالى:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

سور الأعراف

[1] الإسلام والعقل د/ عبدالحليم محمود - رحمه الله - ص ٢١٦

٣- حاسة اللمس:

قال تعالى:

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

سور الأنعام

٤- حاسة الشم:

قال تعالى:

وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾

سورة يوسف

لقد زود الله تعالى الإنسان بالحواس التى تعينه على القيام بواجبه، والامتثال لأوامر خالقه ، والإنسان ميسر لما خلق له.

ثم نرى القرآن الكريم يأمر الإنسان أن يستعمل حواسه ، وأن يوظف نعم الله ، وذلك بالنظر والملاحظة إلى الآيات الكونية والإنسانية ، حتى يصل إلى مراده وغايته.

قال تعالى:

قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾

سورة يونس

وقال تعالى:

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)

سورة الذاريات

وقال تعالى:

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ (٢٠)

سورة الغاشية

وقال تعالى:

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ
دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)

سورة الطارق

قال د/ محمد كمال جعفر:

(إن كل دعوة فى القرآن الكريم إلى تأمل الظواهر الطبيعية التى حولنا ودراستها والحكم عليها وتعلم الدروس منها ، هى دعوة فى الواقــع إلــى **منــهج علمــى استقرائى** يزيد على الوضع الحديث ولا ينقص ، يزيد عليه أن نفيد من ممارســة الدراسة لهذه الظواهر ، شكر الصانع وتقديسه وإجلاله وعبادته) [١]

---

[١] المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية بمناسبة العيد الألفى للأزهر الشريف ص ٥٤٣

لقد أمر القرآن الكريم الإنسان أن يتوجه بحواسه إلى هذا الكون الفسيح، وأن يستقرئ ظواهره ليتعرف على ربه أولا، وليتعرف الإنسان على ذاته ثانيا، وليتعرف على هذا الكون وظواهره ، وعلى حقيقة هذه الحياة بدايتها ونهايتها.

ومن نعم الله تعالى على خلقه جعل النظر إلى هذا الكون وآياته، واستقراء أحواله وظواهره ، ميسورا للجميع ، للعالم والجاهل ، والقارئ والأمي.

قال الشيخ سيد قطب – رحمه الله في ظلال القرآن:

(إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح ، الذي يقرأ بكل لغة ، ويدرك بكل وسيلة ، ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة والكوخ ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور ، كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده ، فيجد فيه زادا من الحق حيث يطالعه بشعور التطلع إلى الحق ، وهو قائم مفتوح)[1]

وهكذا جعل الله تعالى الكون وما فيه من آيات متعددة ومتنوعة كتابا مفتوحا، وسجلا منشورا، يستطيع كل إنسان أن يقرأه ، ويسهل على كل ناظر أن يفهمه ويتأمله.

ولم يقف القرآن الكريم عند حد الدعوة إلى الاستقراء ، واستخدام الحواس، ولكنه حذر من تعطيلها وعدم استعمالها، مبينا أن الإنسان سيسأل بين يدى الله سبحانه وتعالى عن حواسه وفؤاده.

قال تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

سورة الأعراف

---

(١) في ظلال القرآن – الشيخ سيد قطب ج٦ ص ٣٣٦٠

وقال تعالى:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

سورة الحج

وقال تعالى:

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

سورة الإسراء

وفى ذلك إشارة إلى أن الحواس وعلى رأسها السمع والبصر لم تخلق عبثا، ولم تترك سدى ، ولم تخلق لما يغضب الله تعالى ، ولكنها خلقت لمهمة عالية، ورسالة شريفة، وهى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، حتى يزداد الإنسان إيمانا بربه سبحانه ، ويزداد علما بالظواهر الكونية فيتمكن من استغلالها والاستفادة منها.

وعندما حدثنا القرآن الكريم عن أهل النار، بين لنا أنهم لم يستخدموا حواسهم وعقولهم فيما خلقت له وأنهم سيعترفون بخطئهم ، ويندمون على إهمالهم.

قال تعالى حاكيا قول أهل النار:

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

سورة الملك

ثانيا: المنهج الاستقرائي في القرآن الكريم

قال د/ محمد كمال جعفر:

(فبالنسبة للدلالة على انطلاقة **المنهج الاستقرائى** يكفى أن نشير إلى الآية الكريمة التى يحكى الله فيها عن العرب فى الملائكة تلك المقولة التى تصف الملائكة بالأنوثة.

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

سورة الزخرف

نتعلم من هذه الآية أن الحكم بالذكورة أو الأنوثة يقتضى المشاهدة والملاحظة الواعية. وإلا لم يكن الحكم سليما، والآن أليست الملاحظة والمشاهدة هى نقطة الانطلاق فى المنهج الاستقرائى الحديث ؟ أليست الملاحظات والتجارب هى ما قام علماء المسلمين به حتى صححوا نظريات السابقين وأضافوا إلى آرائهم وبحوثهم فى كل مجال من المجالات الطبيعة أو الكيمياء أو الطب أو الفلك أو التشريح ...) [١]

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى:

۞ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا


﴿٥١﴾

سورة الكهف

---

[١] المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ص ٥٤٢

قال الشيخ الشعراوى فى " خواطرى حول القرآن الكريم ":

(إن الحق سبحانه وتعالى لم يشهد أحدا عملية خلق السماوات والأرض أو خلق الإنسان وما كان الأكرم فى حاجة إلى معين أو مساعد.

إذن فوجود المضلين الذين افترضوا أن الأرض كانت جزءا من الشمس وانفصلت عنها أو افترضوا أن الإنسان أصله قرد ... هؤلاء المضلون إنما يفترضون الكذب من تلك الافتراضات) [1]

والمشاهدة والملاحظة التى جاء بها القرآن الكريم من مراحل المنهج الاستقرائى.

وجاء القرآن الكريم بالتجربة وهى خير وسائل الإقناع ، فعندما أوحى الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام بحقيقة الحياة بعد الموت طلب أن يريه كيف يحيى عز وجل الموتى ؟ لا كفرانا بما أوحى به إليه ولكن لزيادة يقينه منه وحتى يطمئن قلبه ، فطلب منه ربه عز وجل أن يجرى تجربة عملية بنفسه ليتأكد بها ويقتنع بمشاهدتها.

قال تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

سورة البقرة

[1] خواطرى حول القرآن الكريم - الشيخ محمد متولى الشعراوى ح١٢ ص ١١

والناظر فى القرآن الكريم يجد آيات كثيرة جمعت بأسلوبها المعجز بين الاستقراء والاستنباط ، وهذا يسمى عند علماء البحث العلمى: تحالف[1] الاستقراء والاستنباط.

قال د/ محمد كمال جعفر:

(أليست الآية التالية فى نفس المضمار من الحمل على التأمل والدراسة واستنباط العبرة بعد الفحص والتجربة والملاحظة والمشاهدة ؟

يقول تعالى:

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الرعد

لا. بل إننا هنا نرى تحالف الاستقراء مع الاستنباط ، وقد استطاع مفكر إسلامى أن يطبق فعلا هذا المنهج على نبات معين ، فدرس خصائص وأطوار نموه ونظام تغذيته ، وهذا هو الجانب الاستقرائى ، ولكنه لم يقنع بهذا بل وصل

---

(١) حالفه: عاهده ، تحالفوا: تعاهدوا وتعاقدوا على أن يكون أمرهم واحدا فى النصرة والحماية انظر المعجم الوجيز ص ١٦٧ .

التأمل العقلى ليصل إلى الأسباب البعيدة التى وراء هذه العملية الكبيرة، حتى وجد الله سبحانه وتعالى وراء كل سبب ، وغاية كل عامل) [1]

وفى هذا إشارة إلى أن الداعية الباحث يستطيع أن يستعمل ويستخدم فى موضوعه ودعوته أكثر من منهج وطريقة.

ثالثا: المنهج الاستقرائى فى مقام تقرير القضايا الإلهية الكبرى فى القرآن الكريم:

أولا: المنهج الاستقرائى وإثبات وجود الله سبحانه:-

قرر القرآن الكريم وجود الله تعالى بناء على أسس عقلية لا يتأتى إنكارها من عاقل، لأنها من مبادئه الأولية.

ولكن هناك عقول أخرى لا تتسع لمثل هذه المبادئ الجافة ، والصور المنطقية ، ولهذه العقول طريقتها الاستدلالية على العقائد ، يعرضها الكتاب العزيز فيما يعرف " بدليل التدبير والعناية " وتتكون مادة هذا الدليل مما يظهر للعقل فى الكون الواسع من مظاهر العناية والقصد والتدبير ، مما يمكن أن يراه الإنسان بحواسه وعقله فى العالم من تناسق وتضامن وانسجام وتدبير محكم، وعناية كبيرة بكل صغيرة وكبيرة وترابط محكم بين أجزاء العالم ، وهذا الدليل يعتبر من أوضح الأدلة على هذه القضية وأهمها.

١

(1) المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية بمناسبة العيد الألفى للأزهر ص ٥٤٣

قال تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

سورة البقرة

والناظر فى هذه الآية يجدها تجمع بين دليل الإختراع ودليل العناية كما قال فلاسفة الإسلام.

وقال تعالى:

وَفِي ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

سورة الرعد

وقال تعالى:

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾

سورة الطارق

بالاستقراء – القائم على الملاحظة والمشاهدة والتجربة – يصل الإنسان إلى معرفة بربه سبحانه وتعالى ، والاعتراف بوجوده ، فالطبيعة ومشاهدها العجيبة ليست وليدة الصدفة والاتفاق كما يقول قدماء الملحدين ومحدثوهم ، وإنما هى وليدة صنعة إله قادر حكيم مريد عالم ، وهى تنطق بل تلح بمظاهر الإتقان والعناية على العقل حاثة ومنبهة إلى ما تستند إليه من قوة خالقة.

ثانيا: المنهج الاستقرائى وإثبات وحدانية الله تعالى:-

إذا كانت الطبيعة ومشاهدها العجيبة ليست وليدة الصدفة ، وهى دليل على وجود الله تعالى ، فإن إتقان العالم العلوى والسفلى وانتظامه منذ خلقه الله تعالى واتساقه وارتباطه بعضه ببعض فى غاية الدقة والكمال دليل على وحدانية الله تعالى.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾﴾

سورة الملك

وهذا دليل على أن مدبره واحد ، وربه واحد ، لا معبود غيره ، ولا خالق سواه. ١

والقرآن الكريم حين يعرض لقضية الوحدانية كسمة عقدية عامة بين الأديان السماوية كلها ، فإنه يعرضها بأسلوب الموازنة بين الخالق غير الخالق،

والقادر وغير القادر ، وذلك من خلال دعوة إلى استقراء الآيات الكونية ، والنعم الربانية.

قال تعالى:

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

سورة النمل

ثالثا: المنهج الاستقرائى وإثبات البعث والمعاد:

قرر القرآن الكريم البعث بناء على أدلة عقلية منطقية

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)

سورة الأعراف

وقرره أيضا بناء على طريقة استقرائية تعتمد على الملاحظة والمشاهدة.

فمثلا: الرياح يرسلها الله سبحانه وتعالى فتثير السحاب ، ثم يساق السحاب إلى بلد ميت ، فتحيا أرضه الميتة ، وهذه مشاهدات لا شك فى وجودها... كذلك النشور.

قال تعالى:

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)

سورة فاطر

١

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ
مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ
وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ
بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي
ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

سورة الحج

وقال تعالى:

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

سورة الروم

وقال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

سورة فصلت

إن الإنسان يرى فى كل لحظة آية حسية تثبت البعث، وتؤكد المعاد، إن الإنسان يرى أطوار خلق الإنسان – بالأجهزة العلمية وهو فى بطن أمه. وبالأعين المجردة بعد ولادته ، ويرى مراحل خلق فى الحيوان والنبات... مما يجعل الإنسان على إيمان تام بالبعث واللقاء.

السنة النبوية والمنهج الاستقرائى :

إذا كان القرآن الكريم جاء بالاستقراء ومراحله فإن السنة النبوية أيضا جاءت به ، والناظر فى أقوال الرسول ﷺ يجد ذلك واضحا.

من ذلك: ١- قال ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) [١]

بالاستقراء القائم على الملاحظة والمشاهدة يجد المستقرئ أن كل مولود يولد على الفطرة، وهى الخلقة التى خلق عليها كل موجود أول خلقه، وهى الدين والطبيعة السليمة التى لم تشب بعيب، ولوترك عليها لا ستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها ، وإنما يعدل من يعدل، لآفة من آفات البشر والتقليد، وفى هذا إشارة إلى أن العيب حادث طارئ ، وقد عرف ذلك بالملاحظة والمشاهدة.

ولذا روى النبى ﷺعن رب العزة تبارك وتعالى (إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أنتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا) [٢]

١-عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) [٣]

بالاستقراء القائم على الملاحظة والتجربة ثبت أن الرجال عند النكاح يبحثون ويرغبون فى واحدة أو أكثر من أربع خصال فى المرأة وهى المال والحسب والجمال والدين ، وقد ثبت بالاستقراء أن كل شئ سوى الدين يفنى

---

[١] البخارى مع الفتح ح٣ ص ٢١٩ ك الجنائز. باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه.
ومسلم بشرح النووى ح١٦ ص ٢٠٧ ك القدر. باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

[٢] مسلم بشرح النووى ح١٧ ص ١٩٧ ك الجنة. باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار

(٣) البخارى مع الفتح ح٩ ص ١٢٢ ك النكاح. باب الأكفاء فى الدين، ومسلم بشرح النووى ح١٠ ص٥١ ك الرضاع. باب استحباب نكاح ذات الدين، وسنن ابن ماجة ح١ ص ٥٩٧ ك النكاح. باب تزويج ذات الدين.

ويزول، وله أثر على استقرار الحياة الزوجية ، ولذا رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذات الدين ، فالدين خير وأبقى ، وهو طريق الفوز فى الدنيا والفلاح فى الآخرة.

ويؤكد النبى ﷺ هذا بقوله (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه) (١)

وقال ﷺ : (لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل) (٢)

والسنة النبوية لم تقف عن حد الملاحظة والمشاهدة ولكنها جاءت **بالتجربة.**

قال د/ يوسف القرضاوى فى كتابه " السنة مصدرا للمعرفة والحضارة "

(وهنا أيضا نجد الرسول عليه الصلاة والسلام سبق إلى إقرار مبدأ التجربة فى الأمور الدنيوية الفنية ، مثل أمور الزارعة والصناعة والطب وماشاكلها، فما أثبتت التجربة نفعه فى هذا فهو مطلوب شرعا، وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعا) (٣)

---

(١) الترغيب والترهيب. المنذرى ح٣ ص ٧٠ ك النكاح. باب الترغيب فى نكاح ذات الدين
(٢) سنن ابن ماجة ح١ ص ٥٩٧ ك النكاح. باب تزويج ذات الدين
(٣) السنة مصدرا للمعرفة والحضارة. د/ يوسف القرضاوى ص ١٨٩

يؤكد هذا المبدأ موقفه صلى الله عليه وسلم من قضية تأبير النخل.

فعن طلحة بن عبيد الله قال: مررت مع رسول الله ﷺ: بقوم على رؤوس النخل فقال: ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا: يلقحونه ويجعلون الذكر فى الأنثى فتلقح. فقال رسول الله ﷺ: ما أظن يغنى ذلك شيئا قال: فأخبروا بذلك ، فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك ، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإنى إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجل.[1]

وقد استعمل النبى ﷺ المنهج الاستقرائى – القائم على الملاحظة والمشاهدة – فى تعليم أمته العبادات كالصلاة ومناسك الحج والضوء ... إلخ.

قال ﷺ : " صلوا كما رأيتمونى أصلى "

وقال ﷺ: " خذوا عنى مناسككم "

واستعمله ﷺ فى معالجة الأخطاء فى العبادات وغيرها ... إلخ.

من ذلك قوله ﷺ للرجل " صل فإنك لم تصل " [2] وهذا لا يكون إلا بعد ملاحظة ومشاهدة ، وقوله صلى الله عليه وسلم: " ما بال أقوام يفعلون كذا "[3]

الأنبياء عليهم السلام والمنهج الاستقرائى:

إذا كان الأنبياء عليهم السلام استعملوا المنهج الاستنباطى فى دعوتهم، فخاطبوا العقل ، وناظروا الفكر والذهن ، واستدلوا بالمعجزات العقلية

---

[1] وسنن ابن ماجة ح٢ ص ٨٢٥ ك الرهون باب تلقيح النخل وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل ح٦ ص ١٢٣

[2] سنن ابن ماجة ح١ ص ٣٣٦ ك إقامة الصلاة. باب إتمام الصلاة.

[3] انظر سنن ابن ماجة أرقام الأحاديث ١٤٠ ، ١٠٤٤ ، ٢٠١٧ ، ٢٥٢١

... فإنهم أيضا استعملوا المنهج الاستقرائى فى دعوتهم القائم علـــى الملاحظـة والمشاهدة والتجربة.

وذلك يتضح من خلال أمرين:

أولا: النظر إلى الآيات الكونية والإنسانية:-

بالإضافة إلى المناهج العقلية ، والأقيسة المنطقية ، التى تخاطب العقل ، لفت الأنبياء عليهم السلام أنظار الناس إلى الآيات الكونيـــة الحســية ، ودعــوا أقوامهم إلى استقراء هذا الكون وما فيه من موجودات ، ومشاهدة ما فيـــه مــن تغيرات وتقلبات ، وتتبع حاله وأمره.

١- سيدنا نوح عليه السلام:-

قال تعالى حاكيا قول نوح عليه السلام لقومه:

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

سورة نوح

١

٢- سيدنا إبراهيم عليه السلام:-

قال تعالى حاكيا قوله لعبدة الكواكب:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

سورة الأنعام

وقال تعالى حاكيا قول الخليل عليه السلام فى مناظرته لعبدة الأوثان:

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

سورة الأنبياء

وفى مناظرته عليه السلام للطاغية النمود استدل باستقراءه للكون، فكل إنسان يرى الموت والحياة فى الإنسان وغيره فى كل لحظة، ويرى شروق الشمس وغروبها فى كل يوم.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

سورة البقرة

٣- موسى عليه السلام:-

كذلك لفت نبي الله موسى عليه السلام نظر فرعون إلى هذا الكون الفسيح وما فيه من موجودات لا يمكن حصرها لا بالعبارة ولا بالإشارة تؤدي دورها.

قال تعالى حاكيا سؤال فرعون وجواب موسى عليه السلام:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

سورة طه

ولما سأل فرعون موسى عليه السلام عن رب العالمين قال موسى كما جاء في كتاب الله

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾



سورة الشعراء

ثم جاءه بدليل آخر يدل على رب العالمين

﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

سورة الشعراء

والناظر في جواب موسى عليه السلام يجده أنه جاء واستدل بآيات كونية تدل على وجود الله سبحانه ، لا يستطيع فرعون أن يدعي خلقها، والقيام عليها. وهكذا لفت الأنبياء عليهم السلام أنظار أقوامهم إلى ما أودع الله عز وجل في هذا الكون من دلائل تدل عليه ، من باهر الحكمة ، وعظيم التصرف، وسعة

السلطان ، لقد دعوهم إلى استقراء الكون والنفس، وبينوا لهم دلائـــل قـــدرة الله، وآثار رحمته فى الكون والنفس ، بأسلوب يدعو إلى الفكر، ويبعث على التـــأمل والنظر.

ثانياً: المعجزات الحسية:

لقد استدل الأنبياء عليهم السلام على صدق دعواهم بمعجزات عقليـــة ، وتحدوا أقوامهم بآيات فكرية ، والتى من خلالها يستنبط المدعو صدق الداعـــى ، وصحة الرسالة ، ولم يقف الأنبياء عليهم السلام عند هذا الحد ، ولكنهم جـــاوءا بمعجزات حسية ، وآيات مادية ، تدل على صدقهم ، وهذه المعجـــزات الحســـية ترى بالعين ، وتشاهد بالبصر ، وكل ما يقع تحت أى حاسة من الحواس ، يكـون من قبيل المنهج الاستقرائى.

من هذه المعجزات الحسية:

١- ناقة صالح عليه السلام:

قال تعالى:

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

سورة الأعراف

وقال تعالى:

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾

سورة هود

وقال تعالى:

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾

سورة الشعراء

٢- معجزات موسى عليه السلام:

قال تعالي:

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

سورة الأعراف

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

سورة الشعراء

قال تعالى:

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾

سورة الشعراء

٣- معجزات عيسى عليه السلام:

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

سورة المائدة

٤- معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الحسية:-

لقد أيد الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بمعجزات حسية كثيرة منها: حنين الجذع[١]، ونبع الماء من بين أصابعه[٢]، والبركة فى الطعام[٣]، وانشقاق القمر[٤]......إلخ

وقد سميت هذه المعجزات بالحسية لأنها تدرك بالحس ، بالنظر والمشاهدة.

وهكذا جاء الأنبياء عليهم السلام بمعجزات بعضها موجه للعقل ويدرك بالمنهج الاستنباطى، وبعضها موجه للحواس ويدرك بالمنهج الاستقرائى.

والعجيب أن المعاندين من كل أمة، لم يؤمنوا بهذه المعجزات، وتمادوا فى العناد ، وطلبوا مزيداً من الآيات، وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين.

الدعاة والمنهج الاستقرائى

إذا كان الدعاة من السلف الصالح استعملوا المنهج الاستنباطى القائم على التفكير المنطقى فى العلوم العقلية ، فإنهم استعملوا المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة

والمشاهدة والتجربة فى العلوم المادية والطبيعية ، واستخدموه فى دعوتهم، واستدلوا به على قضاياهم ، وأكدوا صحة دعواهم.

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ح٢ ص ٣٩٧ ك الجمعة. باب الخطبة على المنبر. وفى المساجد والبيوع

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ح١٥ ص ٣٨ ك الفضائل. باب فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم

(٣) المرجع السابق ح١٥ ص ٤٠ ك الفضائل. باب فى معجزات النبى صلي الله عليه وسلم

(٤) المرجع السابق ح١٧ ص ١٤٣ك صفة القيامة والجنة والنار. باب انشقاق القمر

وإذا كان العلماء والدعاة استدلوا بحدوث العالم على وجود الله تعالى، وأن كل حادث لابد له من محدث ، وذلك من خلال منهج استنباطي يقوم على المقدمات المنطقية، والأقيسة العقلية ، فإنهم استدلوا على حدوث العالم بالاستقراء القائم على الملاحظة والمشاهدة ، ودليل الحدوث يقوم على أن العالم ينقسم إلى جواهر وأعراض، ولا يخرج عنهما ، وهو دليل يتفق فيه الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية.

والأغراض – التي هي صفات الأجسام – حادثة ، والدليل على حدوثها أننا نشاهد حدوث الحركة بعد السكون، والسكون بعد الحركة ، ونرى تغير لون الأشياء وشكلها، ومقدارها من حال إلى حال، وحقيقة التغيرات أن تبطل حالة، وتحدث أخرى، ولو كان قديماً لاستحال عليه العدم – كحركة الجسم بعد سكونه والعكس – لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

والجواهر – الأجسام – كذلك حادثة أيضا، لأن أي جسم من الأجسام لا يخلو عن الأغراض الحادثة ، كالحركة أو السكون مثلاً، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، فثبت من كل هذا أن العالم بجميع أجزائه حادث ، والحادث هو الموجود بعد عدم.[1]

والبحوث العلمية الحديثة أثبتت حدوث المادة وتغيرها من حال إلى حال. والاستدلال – عند علماء العقيدة – على حدوث العالم بالاستقراء ، يسبق الاستدلال بحدوث العالم على وجود الله تعالى.

---

(1) عقيدتنا. د/ محمود ربيع ص ٥١ ، والوحدانية. د/ بركات دويدار ص ٣٩٤ – ٣٥٠

قال الباقلانى: وإذا صح حدوث العالم، فلا بد له من محــدث أحدثــه، ومصّــور صوّره، والدليل على ذلك: أن الكتابة لابد لها مــن كــاتب كتبــها، والصورة لابد لها من مصوّر صورها، والبناء لابد له من بان بنــاه، فإنا لا نشك فى جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كـاتب، وصناعة لا من صانع، وحياكة لا من ناسج، وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، ومحـــدث أحدثها. [1]

وقد استدل المتكلمون بالقرآن الكريم على ما ذهبــوا إليــه مــن دليــل الحدوث. فقد نبه الله تعالى على هذه الطريقة من الاستدلال والاحتجاج.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ سورة البقرة

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ سورة آل عمران

---

[1] الأنصاف. الباقلانى ص ٤٤

وقال تعالى:

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

سورة الروم

أهم المراجع

١- أخطاء المنهج الغربى الوافد.

أنور الجندى

دار الكتاب اللبنانى – بيروت. طبع ١٩٨٢

٢-أداب البحث والمناظرة.

محمد الأمين الشنقيطى

مكتبة ابن تيمية بالقاهرة

٣- أدب الدنيا والدين.

لأبى الحسن البصرى الماوردى.

دار الصحابة بطنطا.

٤- أسباب النزول.

للإمام الواحدى النيسابورى ت ٤٦٨هـ.

دار نهر النيل للطباعة والنشر والتوزيع ٤ ش عبدالمجيد بدوى. العمرانيـــة الغربية.

٥- أسس الفلسفة.

د/ توفيق الطويل.

دار النهضة العربية ٣٢٠ ش عبدالخالق ثروت القاهرة.

٦- أصول البحث العلمى ومناهجه.

د/ أحمد بدر

وكالة المطبوعات ٢٧٠ ش فهد السالم الكويت.

٧- أصول الفقه.

الإمام محمد أبو زهرة

دار الفكر العربى – القاهرة.

٨- أضواء جديدة حول منهج البحث العلمى.

السيد أبوعطية

مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية. الطبعة الأولى ١٩٩٧م

٩- **الأثار الدينية و الأخلاقية**

- نخبة من العلماء.
- دراسات إسلامية العددان (٤٦ – ٤٧) السنة ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

١٠ – **الاستقراء و المنهج العلمى**

د/ محمود زيدان

مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية طبع ١٩٨٠م

١١- **الإسلام رؤية حضارية**

د/ محمد عبد الستار نصار .

قضايا إسلامية العدد (٥١) سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

١٢- **الإسلام و العقل**

د/ عبد العليم محمود

دار المعارف – الطبعة الثالثة

١٣- **الإسلام فى عصر العولمة**

د/ محمود حمدى زقزوق

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

١٤- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به .**

للإمام الباقلانى. تحقيق عماد الدين أحمد حيدر

عالم الكتب بيروت – لبنان

١٥- **الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله**

أحمد عبد العزيز القطان ، وجاسم بن محمد بن مهلهل .

دار الدعوة – الكويت – ودار الوفاء بالمنصورة . الطبعة الثالثة ١٤٩٢هـ – ١٩٩٢م

١٦ – **البحث العلمى : التصميم والمناهج والإجراءات**

محمد الغريب عبد الكريم .

المكتب الجامعى الحديث . الإسكندرية طبع ١٩٨٢م.

١٧- **البحث العلمى مناهجه و تقنياته.**

د/ محمد زيان عمر

المملكة العربية السعودية . جدة طبع ١٩٨٣م

١٨- **البحث العلمى و مناهجه النظرية**

د/ سعد الدين صالح

مكتبة الصحابة . جدة – الشرقية .

١٩- **البرهان فى علوم القرآن .**

الزركشى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

المكتبة العصيرية صيدا – بيروت .

٢٠- **تاريخ الجدل .**

الإمام محمد أبو زهرة

دار الفكر العربى بالقاهرة . الطبعة الثانية ١٩٨٠م

٢١- **تاريخ المنطق عند العرب .**

د/ محمد نظمى سالم

مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية

٢٢- **تجديد الفكر الإسلامى .**

د/ محسن عبد الحميد

دار الصحوة للنشر والطبع .

٢٣- **تطبيق المنهج الرياضى فى البحث العلمى .**
د/ محمد على الجندى .
دار الوفاء للطباعة و النشر المنصورة - الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
٢٤- **تفسير القرآن العظيم .**
للإمام ابن كثير المكتبة التوفيقية . ميدان الحسين
٢٥- **الترغيب والترهيب .**
الإمام المنذرى
مكتبة الدعوة الإسلامية . شباب الأزهر .
٢٦- **التعريفات**
الجرجانى
دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان -الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
٢٧- **التفسير الكبير**
للإمام فخر الدين الرازى
دار الفكر العربى . بيروت . لبنان
٢٨ - **التفكير الفلسفى فى الإسلام.**
د / عبدالحليم محمود
دار الكتاب اللبنانى - بيروت - طبع ١٩٨٢م.
٢٩-**التفكير المنطقى .**
د/ عبد اللطيف العبد
دار النهضة العربية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٣٠- **جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير**
الإمام جلال الدين السيوطى .
مجمع البحوث الإسلامية . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣١- **الحياة الربانية والعلم .**

د / يوسف القرضاوى

مكتبة وهبة. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٣٢- **خواطرى حول القرآن الكريم .**

الشيخ محمد متولى الشعراوى

سلسلة كتب دورية كانت تصدر عن دار مايو الوطنية للطباعة والنشر.

٣٣- **درء تعارض العقل والنقل**

لأبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ . تحقيق د/ محمد

دار الكتب بالقاهرة عام ١٩٧١م

٣٤- **دراسات فى الفلسفة الإسلامية .**

د/عبد اللطيف العبد .

مكتبة النهضة المصرية ، ٩ش على باشا بالقاهرة .

٣٥- **رؤية معاصرة فى علم المناهج .**

د/ على عبد المعطى محمد

دار المعرفة الجمعية الإزاريطة - الإسكندرية

٣٦- **الرسالة الرشيدية .**

للشيخ عبد الرشيد الجونفورى الهندى

على

الرسالة الشريفية فى آداب البحث والمناظرة

للسيد الشريف الجرجانى .تحقيق : على مصطفى الغرابى

مكتبة ومطبعة محمد صبيح بجوار الأزهر الشريف بالقاهرة .

٣٧- **سبل الأستنباط من الكتاب والسنة**

د/ محمود توفيق محمد سعد

مطبعة الأمانة مصر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

٣٨- سموم الأستشراق
أنور الجندى
مكتبة التراث الإسلامى , ١٤ش صفية زغلول . قصر العينى .القاهرة
٣٩- سنن ابن ماجة
للحافظ أبى عبد الله القزوينى ت ٢٧٥هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .
دار الحديث بالأزهر
٤٠- السنة مصدراً للمعرفة والحضارة .
د/ يوسف القرضاوى
دار الشروق . الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
٤١- صحيح مسلم بشرح النووى
المطبعة المصرية ومكتبتها .
٤٢- صون المنطق .
للسيوطى . تحقيق د/ سامى النشار
القاهرة ١٩٤٧م
٤٣- عقيدتنا .
د/ محمود ربيع
طبعة الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة
٤٤- الغزو الفكرى وهم أم حقيقة
د/ محمد عمارة
دار الشروق .الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٤٥- فتح البارى بشرح صحيح البخارى .
للإمام بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ
دار المعرفة بيروت - لبنان .

٤٦ – **في ظلال القرآن الكريم .**
للشهيد – سيد قطب
دار الشروق – الطبعة السادسة
٤٧- **لسان العرب .**
لابن منظور الأفريقى المصرى .
دار صادر بيروت.
٤٨- **مختار الصحاح**
الرازى – ترتيب محمود خاطر .
دار الحديث بالقاهرة .
٤٩- **مدارج السالكين**
لابن قيم الجوزية
دار التراث للطباعة والنشر. ميدان الحسين بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ
٥٠ – **معجزة القرآن .**
الشيخ محمد متولى الشعراوى .
مؤسسة أخبار اليوم
٥١- **مفاتيح الحضارة وتحديات العصر .**
د/ محمود حمدى زقزوق .
قضايا إسلامية العدد ٣٣السنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٥٢- **مناهج البحث العلمى .**
د/عبد الرحمن بدوى ١
وكالة المطبوعات ١٩٧٧م – الكويت
٥٣ – **مناهج البحث فى التربية وعلم النفس**
د/ جابر عبد الحميد ، د/ أحمد خيرى كاظم
دار النهضة العربية – الطبعة الثانية ١٩٧٨م

٥٤- **مناهج البحث العلمى عند مفكرى الإسلام .**
د/ على سامى النشار
دار المعارف – الطبعة الرابعة ١٩٧٨م.
٥٥- **مناهج البحث**
د/ غازى حسين عناية
مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية طبع ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م
٥٦- **مناهج البحث و التفكير العلمى**
د/ محمد عبد الله الشرقاوى
دار الثقافة العربية ، ٢ش المبتديان – القاهرة .
٥٧- **مناهج البحث العلمى .**
د/ عبد اللطيف محمد العبد
مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٩م
٥٨- **مناهج البحث العلمى أسس وأساليب .**
د/ عمار بوحوش ، د/ محمد محمود الذنيبات .
مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م
٥٩- **المُسـند.**
للإمام أحمد بن حنبل
دار الفكر – بيروت – لبنان
٦٠ – **المعجم الوجيز .**
مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٦١ – **المنطق الحديث ومناهج البحث**
الواثق بالله عبد المنعم أحمد
طبع القاهرة بدون تاريخ .

٦٢- المنطق الحديث و فلسفة العلوم و المناهج .
د/ محمد نظمى سالم
مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية
٦٣- المنطق وفلسفة العلوم
بول موى . ترجمة فؤاد حسن ذكريا .
دار نهضة مصر ، ١٨ ش كامل صدقى بالفجالة – القاهرة .
٦٤- المنطق الإسلامى ...... أصولة و مناهجه
محمد تقى المدرس
دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م
٦٥ – المواقف فى علم الكلام
عضد الدين الإيجى
مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٥هـ
٦٦-المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية
بمناسبة العيد الألفى للأزهر ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م
٦٧- نظريات فى مناهج البحث العلمى .
د/ عبد المقصود عبد الغنى
مكتبة الزهراء . طبع ١٩٩٣م
٦٨- النبـوات .
الرازى . تحقيق د/ أحمد حجازى السقاسنة ١٩٨٦م
دار الكليات الأزهرية بالقاهرة.
٦٩- الوجيز فى أصول الفقه .
د/ عبد الكريم زيدان
مؤسسة الرسالة بيروت[1]، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
٧٠ – الوحـدانية .
د/ بركات دويدار
دار التراث الإسلامى بالقاهرة .

محتويات البحث

المحتويـــات	مسلسل
أولا : القرآن الكريم و الدعوة إلى الاستنباط....................	٧٤
ثانيا : المنهج الاستنباطى فى القرآن الكريم	٧٧
ثالثا : المنهج الاستنباطى فى مقام تقرير القضايا الإلهية فى القرآن الكريم	٨٢
أولا : المنهج الاستنباطى وإثبات وجود الله تعالى	٨٢
ثانيا : المنهج الاستنباطى وإثبات وحدانية الله تعالى	٨٤
ثالثا : المنهج الاستنباطى وإثبات البعث	٨٦
السنة النبوية والمنهج الاستنباطى	٩٠
المنهج الاستنباطى فى مقام دعوة الأنبياء عليهم السلام	٩٤
١- استدلال الأنبياء عليهم السلام بالمعجزة	٩٤
٢- الاستدلال بالخالق على المخلوق	٩٥
٣- مجاراة الخصوم	٩٦
٤- مناظرة الخصوم	٩٧
الخليل علية السلام والمنهج الاستنباطى فى الدعوة	٩٧
الدعاة و المنهج الاستنباطى	١٠١
الفصل الثالث " المنهج الاستقرائى فى مقام الدعوة إلى الله تعالى	١٠٣
تعريف الاستقراء	١٠٤
ضرورة الاستقراء	١٠٥
الدعوة والمنهج الاستقرائى	١٠٧
مراحل المنهج الاستقرائى	١٠٨